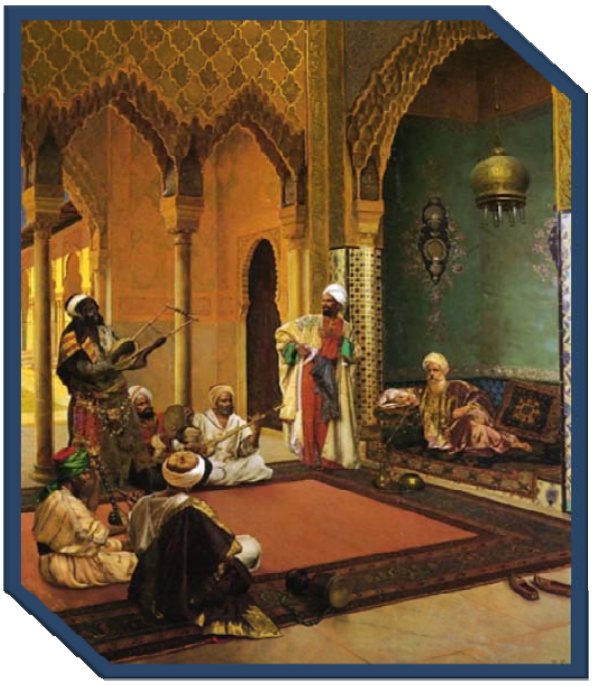

دور الفُقَهَاء في الْحَيَاة الاجْتِمَاعِيَّة خلال عَصْر المُرَابِطِين

د. أنور محمود زناتي

أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية التربية – جامعة عين شمس
القاهرة – جمهورية مصر العربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أنور محمود زناتي، دور الفُقَهَاء في الْحَيَاة الاجْتِمَاعِيَّة خلال عَصْر المُرَابِطِين.- دورية كان التاريخية.- العدد الخامس والعشرون؛ سبتمبر ٢٠١٤. ص ١٦ – ٢٩.

www.kanhistorique.org

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخَّص

شكلت طَبَقة الفُقَهَاء شريحة اجْتِمَاعِيَّة ذات سند ودعم اجتماعي هائل، وكان لسمو مكانتهم انعكاس مؤكد على وضعهم الاجتماعي فأثروا في مختلف طَبَقات المُجْتَمَع الأَنْدَلُسي، وأوردت المَصَادِر عبارات التعظيم والإجلال لهم، وكيف حافظ عدد من الفُقَهَاء على وحدة المُجْتَمَع الأَنْدَلُسي. تتناول الدراسة ذلك من خلال المَصَادِر، مع عرض لتفاعل الفُقَهَاء مع الواقع المُجْتَمَعي ومشاركاتهم في الأحداث، وكيف لعبت المَكَانة الخاصة للفُقَهَاء دورًا كبيرًا في التأثير على مجريات الْحَيَاة الاجْتِمَاعِيَّة. بالإضافة إلى كيفية معالجة بعض الفُقَهَاء واقع التَّارِيخ الاجْتِمَاعِي للأَنْدَلُس في تلك الفترة التَّارِيخِيَّة الحساسة؛ ومعالجتهم للعديد من المفاسد، التي انتشرت في المُجْتَمَع الأَنْدَلُسي آنذاك.

مُقَدِّمَة

شكلت طَبَقة الفُقَهَاء شريحة اجْتِمَاعِيَّة ذات سند ودعم اجتماعي هائل، وكان لسمو مكانتهم انعكاس مؤكد على وضعهم الاجْتِمَاعِي فأثَّروا في مختلف طَبَقات المُجْتَمَع الأَنْدَلُسي، واستعملت المَصَادِر عبارات التعظيم والإجلال لهم فنعتت البعض "**بعلو الرتبة وسمو الرياسة**"[١] و"**الحظوة والعزة والرفعة**"[٢]، كما خوطبوا في المراسلات بأفخم العبارات التي تنم عن الهيبة والْجَلال، وحققوا مكانة اجْتِمَاعِيَّة رفيعة حتى أن بعضهم كان يدخل المدن دخولاً رسمياً يشبه دخول الأُمَرَاء[٣].

اكتسب الفُقَهَاء مع مرور الوقت سلطة فعلية بالْمَغْرِب والأَنْدَلُس وهذا يرجع إلى الدور الذي اضطلعوا به داخل مُجْتَمَعاتهم، واهتمامهم الفعلي بشئون الرعية سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو العلم أو التدريس بشكل عام أو في مجالات الفقه والتَّعْلِيم، ومن خلال إشرافهم على الخطط الدِّينِيَّة بوجه خاص[٤] لأنهم أعرف بأمور الرعية وطَبَقاتها[٥]، وأهلهم ذلك لكي يتبوؤا مركز الصدارة في مختلف الأمور التي تهم مصالح مُجْتَمَعاتهم[٦].

(١) حفاظ الفُقَهَاء على وحدة المُجْتَمَع الأندَلُسي

حافظ أغلب الفُقَهَاء على وحدة المُجْتَمَع الأَنْدَلُسي؛ فوقف ابن حَمْدِين موقفاً متشدداً ضد محاولة تمرد على الحكومة المُرَابِطية خطط لها ابن الْحَاج عندما تأخر في إعلان الْبَيْعَة لعَلِي بْن يُوسُف ونجح في إفساد تدبيره[٧]. كما تصدى ابن رُشْد لحركة أوشكت أن تحدث انشقاقاً في وحدة الأَنْدَلُس، وهي فِتْنَة قُرْطُبَة سنة ٥١٤هـ /١١٢١م، حينما حدث نفور بين أهل قُرْطُبَة ووالها يَحْيَىَ بن رواده[٨]، وجرى بين الجانبين اشتباك هزم فيه الوالي وفر من القصر الذي انتهب على إثر ذلك[٩]؛ فاضطر عَلِي بْن يُوسُف إلى النهوض إلى قُرْطُبَة ووصل بحشوده إلى ظاهر قُرْطُبَة في شهر ربيع الآخر سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م؛ فأغلقت قُرْطُبَة أبوابها واستعد أهلها للدفاع عن أنفسهم واستفتوا فُقَهَاءهم فأفتوا: إذا أصر الأمير على موقفه

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

واستمع لنصح المفسدين وجب القتال دفاعاً عن النفس والحرم[١٠].

استدعى الأمير عَلِي بْن يُوسُف فُقَهَاء الْمَدِينَة وعلى رأسهم ابن رُشْد، وجرت بينهم أحاديث في أمر الثورة واقتحام قصر الوالي، وكان مُحَمَّد بن داود قَاضِي إشبِيلِيّة في ركاب أمير الْمُسْلِمِين فجعل يعظم الأمر ويبالغ في تصوير شناعته. وتدخل ابن رُشْد لتدارك الموقف، وأراد أن يضع حداً للتجاوز وعدم تدهور الموقف، ودافع ابن رُشْد عن موقف أهل الْمَدِينَة، وأنهم لم يشقوا عصا الطاعة، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على أن يقوم أهل قُرْطُبَة بالتعويض عما نهب من المُرَابِطين وارتضى أمير الْمُسْلِمِين هذا الاتفاق ولكنه غضب لموقف ابن رُشْد فعزله عن الْقَضَاء وولى مكانه أبا القاسم ابن حَمْدِين[١١].

ساهم بعض الفُقَهَاء في وضع تصورات لأمور اجْتِمَاعِيَّة مثل كيفية التعامل مع مِيرَاث مُلُوك الطَّوَائِف المالي والعقاري، وهي من المسائل الخطيرة أثناء قيام أنظمة سلطانية جديدة تتجدد معها العُقُود والوَثَائِق والْأَحْكَام بحسب ظروف العَصْر، فقد كان ابن الْحَاج واضحًا مع حق بيت مال الْمُسْلِمِين في أمْوَال الْحُكَّام المتغلبين: **"أمْوَال الظلمة"**، وأدت جرأة ابن رُشْد الذي استفتي في هذا الأمر إلى محنة كبرى، انتصر فيها السِّيَاسِي الظرفي على الْحُكْم الشرعي، وهذا من خلال تدخل ابن حَمْدِين قَاضِي الْجَمَاعَة بقُرْطُبَة وواحد من أشهر وجوه العَصْر أيضاً[١٢].

وضع بعض الفُقَهَاء تصوراً لنموذج معين للحاكم الذي يتناسب مع الْمُجْتَمَع الأَنْدَلُسي، وفي ذلك قال ابن عَبْدون: "وإن كان الرئيس في خلقه وأفعاله وسعيه إلى الخير محباً فيه وفي أهله، مرتبطا بالناموس فقد استراح وأراح فطوبى له وأين يكون أين؟"[١٣]، كما أشار ابن عَبْدون الى بعض الصفات التي يتمتع بها (صاحب الْمَدِينَة أو صاحب الشرطة) منها: "أن يكون رجلا عفيفاً، غنياً، عالماً، متمكنا في علوم الوَثَائِق ووجوه الْخُصُومات وأن يكون ورعاً ولايرتشي ويجري في حكمه وأمره الى الحق والاعتدال ولا يخاف في الله لومه لائم[١٤]؛ وعن عدد اعوانهِ قال "ان يكون له من الاعوان من سبعة الى عشرة[١٥]، وفي رأيه أن أهل العلم والدين هم الذين ينصحون الْحُكَّام، ويعيب عليهم مداهنتهم للحاكم فقال عن الفَقِيه: "ولا يجري معه على مذهبه وإرادته في الميل إلى الدنيا وما في ذلك مما لا يرضي الله، فكل رئيس أو فقيه لم يتحفظ الناموس، قتله الناموس"[١٦].

(٢) طبقات الْمُجْتَمَع عند فقهاء الْمَرَابِطين

توطد التفاوت الطَبَقي في مُجْتَمَع المُرَابِطين بالأَنْدَلُس خاصة في الحواضر الْكُبْرَى، حيث لا يختلف الريف الأَنْدَلُسي عن ريف الْعُدْوة في أنه منطقة منسية. وبناء على النمط الاجْتِمَاعِي السائد في عصر المُرَابِطين، الذي يحدده بعض الدارسين بطَبَقات ثلاثة، الطَبَقة الأرستقراطية مالكة البلاد والأرض وتضم أُمَرَاء البيت اللَمْتُوني وفُقَهَاء السلطان، والشريحة العَسْكَرية الظاهرة من قادة الجند النظامي، والعائلات الوجيهة والعالمة والتي ورثت الخطط الإدارية والْقَضَائية، ثم الطَبَقة الوسطى الأَنْدَلُسية من التجار والسماسرة وأصحاب الشركات، وهم التجار وأصحاب الْكِتَابة والْيَهُود والمُسْتَعْرِبُون وأعوان الدَّوْلَة وأصحاب المهن الحرة كالأطباء دون إغفال الشُّعَرَاء وأهل الحكمة من المرموقين الذين وصلوا إلى السُلْطَة. وفي آخر الهرم الاجْتِمَاعِي، العوام والعُبَيْد من جميع الأصناف[١٧].

أبرز بعض الفُقَهَاء **التدرج الطَبَقي** في الأَنْدَلُس؛ فقسم ابن الْحَاج النَّاس في الأَنْدَلُس إلى ثلاث طَبَقات: الأغنياء، ومتوسطو الحال، والمقلون[١٨]؛ ما يخص طَبَقة الْحُكَّام والأعيان يشير إلى تفشي ظاهرة استغلال النفوذ والشطط في استعمال السُلْطَة[١٩]، فأورد قصة رَجُل عرف بابتزازه واختلاسه الأمْوَال حين كان جابياً للخراج في عَصْر الطّوائف، فلما دخل المُرَابِطون الأَنْدَلُس: "لاذ بأحد أبناء الدنيا واحتمى به" كما أن بعضهم كان يرغم النَّاس على بيع ممتلكاتهم[٢٠] كما أن بعضهم أيضاً تمكن من تنمية ثرواته عن طَرِيق التسليف بالفوائد[٢١]، كما رصد الْقَاضِي عِيَاض التدرج الطَبَقي في الأَنْدَلُس حيث قسم الْمُجْتَمَع الذي عاصره إلى طبقتين: **"الخَاصَّة والْعَامَّة"**[٢٢]، في حين قسم أبي بَكْر الْحَضْرَمِيّ المُرَادِيّ قَاضِي المُرَابِطين بالصَّحْرَاء الْمُجْتَمَع على أساس معيار أخلاقي إلى ثلاث طَبَقات: طَبَقة ينتسب أهلها إلى الوجاهة والكرم والفَضْل، وطَبَقة عد أهلها من اللثام والسفلة، ثم طَبَقة ثالثة تتوسط بينهما[٢٣].

أثار اللثام جدلاً واسعاً بين شرائح الْمُجْتَمَع الأَنْدَلُسي وقام الفَقِيه ابن رُشْد بإصدار فتوى شهيرة عن اللثام[٢٤]، والتي أجاز فيها ارتدائه نظراً للخصوصيات الثَّقَافَيَّة الصِنْهَاجة[٢٥]، وبنى ابن رُشْد حكمه في هذه الفتوى على عنصرين أساسيين أولهما وجوب التزام الشعوب لأزيائها وعدم الانتقال إلى زي وهيئة سواها، وثانيها مجرى العرف والعادة في اتخاذ المُلَثَّمين للثام شعاراً يميزهم عن غيرهم. كما أثار اللثام أيضاً حفيظة الْعَامَّة، فإذا تلثم عُبَيْدهم ظنهم النَّاس من المُرَابِطين أنفسهم فسعوا إلى برهم[٢٦]، هذا إلى أن المُلَثَّمين كانوا يستغلون اللثام في ضروب الإساءة والتعدي وصور ابن عَبْدون تكبر المُلَثَّمين على السُكَان حين نص على أن: "من يلثم يجب أن يكون صهاجياً أو لمتونياً أو لمطياً؛ أما من عداهم من الحشم العُبَيْد فإنهم حين يتلثمون يهيبون على النَّاس، ويأتون أبواباً من الفجور كثيرة بسبب اللثام"[٢٧].

عكس ابن عَبْدون بدقة ما كان يدور في الْمُجْتَمَع، وحاول أن يؤطر العلاقات بشكل ديني فجاء تنظيره متوافقاً مع ما افتى به ابن رُشْد بجواز ارتداء اللثام وعدم اعتباره نوعاً من التميز الطَبَقي، وكم من الموبقات ارتكبت باسم اللثام خاصة بالنسبة لعُبَيْد المُرَابِطين[٢٨]، ويفهم من كلام ابن عَبْدون أنهم يتلثمون لنيل نوع من الحَصَانة؛ لذا اقترح أن يتلثموا فتكون علامة يعرفون بها للتفريق

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

بينهم وبين أسيادهم المُرَابِطين وهو ما يمثل ترسيخاً لفكرة التمايز الطَبَقي للمرابطين في الأَنْدَلُس[٢٩].

منح الْعَامَّة الثقة الكاملة للفُقَهَاء وقصدوهم في حل العديد من المشاكل الاجْتِمَاعِيَّة؛ فابن رُشْد كان النَّاس: "يلجأون اليه ويعولون مهماتهم عليه"[٣٠]، ومن ذلك قيام أحد الأَنْدَلُسيين بالتوجه إليه لرفع ظلم أحد الولاة، وبادر ابن رُشْد بمساعدته إلى أن تم له ما أراد"[٣١]، وعرف عن الفَقِيه أبو الْحَسَن بن دري (ت ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م) بأنه من المسارعين لقضاء الحوائج، والمشفقين على المساكين"[٣٢] كثير الصدقة، والسعي في فداء الأسرى"[٣٣]. ولعل حزن الْعَامَّة على بعض الفُقَهَاء وكثرة المشيعين لهم افضل دليل على سمو منزلة الفُقَهَاء في نفوس الْعَامَّة فحين تُوفِّي أبو عَبْد الله ابن حَمْدِين (ت ٥٠٨هـ/ ١١١٤م) :"**حزن النَّاس عليه، وكان محبباً لديهم**"[٣٤] وابن رُشْد لما توفى عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م :"**شهده جمع عظيم من النَّاس، وكان الثناء عليهم حسناً جميلاً**"[٣٥].

(٣) تفاعل الفُقَهَاء مع الواقع المُجْتَمَعي

تفاعل الفُقَهَاء مع الواقع المُجْتَمَعي وشاركوا في الأحداث ورصدوها مما يجعلنا نتعرف منها على أَسْمَاء بعض المُلُوك والأُمَرَاء وعامة النَّاس الذين استفتوهم في مسألة، وعلى أَسْمَاء القُضَاة الذين استشاروهم بشأن قضايا كانت معروضة عليهم، وعلى الأماكن التي صدرت منها الأَحْكَام ومدلولاتها الاجْتِمَاعِيَّة[٣٦]؛ فأورد بعض الفُقَهَاء تساؤلات وإجابات تمثل الحلول العمليّة لنظر الدّين في الحالات الْحَادِثَة، والأَحْكَام التعليقية في تلك القضايا الاجْتِمَاعِيَّة، فالمناسبة يناسبها الجواب المطلوب والحل المراد، وفرق بين حكم عملي راعى الظرف وأحاط بمعطيات القَضِيَّة، وحكم نظري يساق في كتاب فقهي، وينساق مع غيره من أحكام في وضع تقليدي يضمها كتاب[٣٧].

لعبت المَكَانة الخاصة للفُقَهَاء دوراً كبيراً في التأثير على مجريات الْحَيَاة الاجْتِمَاعِيَّة حتى تدخل بعضهم في إطلاق سراح بعض السجناء[٣٨] أو الإعفاء من الالتزامات العَسْكَرية[٣٩] والمغارم والمكوس، واستغل ابن رُشْد مكانته على سبيل المثال ليرفع عن والد مُحَمَّد بن عَبْد الله الخُشَنِي ضريبة عقارية[٤٠]؛ بل إن بعض المُؤَرِّخِين اعتبروا ذلك مفخرة، ووجدنا رسائل الإخوانيات المتبادلة بين الفُقَهَاء تضمنت التماس قضاء الْحَاجات[٤١].

رجع العديد من الفُقَهَاء في تسجيل آرائهم واجتهاداتهم إلى من يسمون بأرباب المعرفة والنظر، يسألونهم عن عاداتهم في التعامل، فيأخذون برأيهم فيما يرجع إلى الاحتكام إلى العُرف والعادات التي تجري وفقاً لمعاملاتهم، فكانت الأَحْكَام تتأثر بما يتأثر به المُجْتَمَع في السوق، والمَسْجِد والحقل والمصنع وفي سائر مرافق الْحَيَاة[٤٢].

شارك الفُقَهَاء النَّاس في المناسبات الاجْتِمَاعِيَّة الكبيرة مثل: الاحتفال بهلال شهر رمضان، وإيقاد القناديل واستخدام الخيالة[٤٣] والانصراف للعبادة والتزام المساجد، وختم القرآن مع عامة الشعب[٤٤]، وإعطاء الفتاوى حول الأخطاء التي يقعوا فيها خلال الشَّهْر المبارك مثل عجز البعض عن الصيام بسبب المرض[٤٥].

رصد الفُقَهَاء أحوال الْعَامَّة ومساكنهم وكيف أن المواد المستخدمة في البناء من كتل الآجر وأن: "**سلالمها كانت من الخشب وتثبت بمسامير**" [٤٦]، وأنها كانت: "**تخضع لرقابة المُحْتَسِب طوال فترة بنائها، ما خضع العمال والبناءون لرقابته أيضاً**"[٤٧]، وذكر بعض الفُقَهَاء المعالم والخطط في المدن الأَنْدَلُسيّة كأَسْمَاء بعض الأَزِقَّة والأَبْوَاب والمساجد والحمامات والمقابر والأَسْوَاق والبساتين، وأَسْمَاء بعض الأسر والأعلام المَشْهُورة" [٤٨].

حرص الفُقَهَاء على مراقبة المقابر والطرق المؤدية إليها ومنع الباعة المتجولين والشباب من التعرض للنساء في الطريق، وكذلك إخلاء المقابر من الباعة لأنهم كانوا يكشفون النِّسَاء[٤٩]، وحاولوا وضع حد لظاهرة اتخاذ المقابر للسكن والمعيشة وكانوا يرون ضرورة هدم تلك المساكن وتُوفِير البديل لهم[٥٠].

هناك مجموعة من الوَثَائِق التي أوردها الفُقَهَاء تتعلق بالدور وأحكامها، وفيها تسجيل لعدد من القضايا والمنازعات بين من يسكنون دوراً متجاورة. والذي يتأمل هذه القضايا يمكن أن يطلع منها على صورة لهذه الْحَيَاة التي كان يعيشها الأَنْدَلُسيون في قُرْطُبَة أو غيرها من مدن الأَنْدَلُس والتي لا تكاد المَصَادِر التَّارِيخيَّة تطلعنا على طرف منها. ونحن نرى من خلال هذه الوَثَائِق أيضاً صورة للكيفية التي كان القُضَاة ومُشَاوَروهم من الفُقَهَاء يعالجون بها هذه القضايا والمنازعات، ومدى رعايتهم لمصالح المرتفقين بالدور ولما ينبغي أن يكون بين الجيران من علاقات طيبة[٥١].

قدم لنا بعض الفُقَهَاء معلومات هامة عن بعض المظاهر العِمْرَانَية والاجْتِمَاعِيَّة في المدن الأَنْدَلُسيّة؛ فنعرف من إحدى الرسائل كيف كانت المدن ذات أسوار تقفل ليلاً، ولأبوابها بوابون يدفع النَّاس لهم مبلغاً من المال عند جوازهم بها، ويتهم ابن عَبْدون أولئك البوابين بالجشع والشطط، ويرى أن يكون لهم أجور مقررة من الدَّوْلَة، يدفعها صاحب الأحباس والْمَوَارِيث، وأن لا يعطيهم الرعية شيئاً من الضريبة إلا على سبيل التكرم. وفي خارج الأبواب فئات من النَّاس تبيع جلود البقر ولحومها، ويوصي ابن عَبْدون أن يبحث في شأن هذه المبيعات فإنها مسروقة عادة. أما في الداخل فللمَدِينَة حرس مرتبطون يطوفون فيها ليلاً ويأخذون من يتهمونه، ويصفهم الكاتب بالشدة والتعدي وأنهم يكشطون الثياب ويغيرون الأشكال ويروعون الأنفس[٥٢].

تدخل بعض الفُقَهَاء في شئون الرعية، وفرضوا وصايتهم على طَبَقات المُجْتَمَع؛ كتحريم الطُّرْطُوشِي شراء الحلوى احتفالاً بليلة القدر وتحريم الكَاغَدُ [٥٣] والجبن الرُّوْمِي[٥٤]، وتحريم ابن الْحَاج تقديم الأطعمة والفواكه يوم عاشوراء واعتبار ذلك بدعة[٥٥]، ونهى ابن عَبْدون عن لعبة المقارع التي اعتاد عليها الأطفال لأنها كانت تحدث الهرج والصخب بالأَزِقَّة والشوارع[٥٦]، وانتقد الفَقِيه الطُّرْطُوشِي من يتنافسون في شراء الأضحيات من أجل التباهي

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

وليس اتباعاً للسنة أو طلباً للأجر، وكانت العائلات تتنافس في شراء الخرفان السمان بل ولجأ البعض للسرقة من أجل شراء الأضاحي[٥٧]. ودعى الفَقِيه الْحَضْرَمِيّ النَّاس عموماً إلى الاعتدال في اللباس[٥٨].

أباح الفُقَهَاء بعض الألعاب مثل: الدوامات والزرابط[٥٩]، كما كانت بعض العائلات الموسرة تصنع لأطفالها حلوى عرفت بإسم المدائن، وهي حلوى كبيرة تحتوي على أصناف من الفواكه تقدم إليهم إدخالاً للسرور عليهم وتوسيعاً في الترفيه لأحوالهم[٦٠].

حرص الفُقَهَاء على مراقبة مراسم الأعراس خاصة في الأرياف، لما يكون فيها من اختلاط ومنكرات وأمور مستقبحة، ومحاولة إبعاد الفئة المفسدة من الشباب وحرمانهم من حضور الوليمة، لما يكون من فسوق وفجور وشرب خمور، ونهوا عن تلبية الدعوة إلى الوليمة التي فيها مختلف صنوف المُوسيقَى والغِنَاء إلا ما كان فيها من صوت الدف[٦١]. ومن يخالف ذلك فله عقاب شديد فقد أمر الفقيه ابن العربي بثقب أشداق زامر في أحد الأعراس لما سببه من لهو ومجون[٦٢].

نتيجة انصراف بعض الفُقَهَاء إلى جمع الثروات، بدأت مظاهر التحلل تسود قطاعات كبيرة من الدَّوْلَة؛ وانتشرت بكثرة الملاهي وأماكن الدعارة[٦٣] مثل برشانة (Purchena) وأبذة (Uacute) ودرب ابن زَيْدُون بقُرْطُبَة[٦٤]، وفشلت محاولات بعض الفُقَهَاء من الحد من تلك الملاهي. وكانت الخمر تباع علناً في الملاهي والأَسْوَاق، وكان النبيذ يشرب دون حرج[٦٥].

(٤) معالجة الفُقَهَاء لقضايا المُجْتَمَع المُرَابِطي

عالج بعض الفُقَهَاء واقع التَّارِيخ الاجْتِمَاعِي للأَنْدَلُس في تلك المرحلة التَّارِيخيَّة الحساسة[٦٦]؛ منها قضايا اجْتِمَاعِيَّة كَثِيرَة كقضايا الجواري والإماء، خاصة مع طغيان ظاهرة الجواري والقيان بشكل ملفت للنظر في الأَنْدَلُس، ولا يستثنى من ذلك الْعَامَّة من الناس[٦٧]؛ فأحدثت هذه الظاهرة تغيراً في العادات فقد ذكر المَرَّاكُشي إن كثرة الجواري في الأَنْدَلُس، أدت الى زهد الناس بالحرائر، فأصبح الأب يمهر ابنته، بدلاً من أن يقبض هو مهرها، أو أن تقبضه هي[٦٨].

نصح الفَقِيه الْحَضْرَمِيّ الأزواج بحسن اختيار الزوجة وضرورة توافر ثلاث خصال: طيب الأصل، وحسن الخلق وكمال الدين[٦٩]. واستنكر بعض الفُقَهَاء التبذير والاسراف في الأعراس والولائم فاعتبر ابْنِ الْعَرَبِيّ ذلك من المنكرات[٧٠]، ونصح ابن عَبْدون أن تؤخذ الأسلحة من السكارى في الولائم والأعراس.

انتقد الفُقَهَاء ظواهر سلبية مثل حمل السلاح في الأعراس فنهوا عن ذلك خاصة قبل بداية الشراب[٧١]، وأنه يجب أن يؤخذ سلاح الشبان عند إقبالهم عند العرس قبل أن يشربوا لتجنب نشوب القتال[٧٢]. وإذا ظفر بالمعربد كتّف وأهبط إلى صاحب المَدِينَة[٧٣].

ألمح الفُقَهَاء إلى ظاهرة اجْتِمَاعِيَّة انتشرت بقوة في المُجْتَمَع المُرَابِطي ألا وهي ظاهرة طول مدة غياب الأزواج عن نسائهم اللائي أصبحن يشترطن في عُقُود صداقهن ألا يغيب عنهن أزواجهن، وهو ما عبر عنه ابن رُشْد ب"شرط المغيب"[٧٤] وأحيانا تصل الى حد الطلاق في حالة استمرار الزوج في المغيب فتكتب الزوجة عقداً يشهد بصحة مغيبه وعدم انفاقه عليها. وقد حكم لزوجة أن تنتظر اربعة أعوام بعدها تصبح حرة في تطليق نفسها إلا في حالة اشتراك الزوج في حرب العدو أو وقوعه اسيراً "فلا تتزوج ولا يورث حتى يوقن بموته"[٧٥].

استنكر الفُقَهَاء المنكرات والبدع في أواخر عصر المُرَابِطين، فأفتى ابن رُشْد بعدم جواز ما يعرف بزواج المتعة المحدد بوقت ودون ولي[٧٦]، وانتقد الفُقَهَاء تكلفة الزواج وما يصاحبها من غلاء، والنصوص لاتدع مجالا للشك فيما يتطلبه الزواج والوليمة من نفقات باهظة حتى أن الْقَاضِي أَبَا بَكْر بن الْعَرَبِيّ اعتبر ذلك من المنكرات يقول عن البدع والمنكرات التي حدثت في أواخر العصر المُرَابِطي: "وقد عظم الخطب في هذا الزَّمَان حتى لا يدري العبد على أي شئ يبكي، أعلى فوات دنياه؛ أم على عروسه التي تطالب بما ليس به طاقة"[٧٧].

رصد الفُقَهَاء انتشار شرب الخمر بين الخاصة والْعَامَّة، قال ابن عَبْدون عن معايب مقبرة إشبيلة:" وأقبح ما في مقبرتها(وبها يُعَابُ أهلُ بلدنا) السُّكنى على ظهور الموتى لقوم يشربون الخمر، وربما يفسقون"[٧٨].

حارب بعض الفُقَهَاء انتشار العديد من المنكرات والأمراض الاجْتِمَاعِيَّة وهو ما يفسر شيوع كتب الْحِسْبَة ومن تلك الأمراض الاجْتِمَاعِيَّة انتشار عادة شرب الخمر في مختلف المدن الأَنْدَلُسية وكانت عادة في حياة الخاصة والْعَامَّة وفي مختلف المناسبات[٧٩]، ومن لم يستطع شراء نبيذ العنب يتناول نبيذ العسل أو الذرة[٨٠].

تعكس إحدى الرسائل المُرَابِطية الرسمية الموجهه إلى أهل بَلَنْسِيَة هذه الحقيقة[٨١]. وكثرت النوازل في تلك الفترة عن بيع الكرم لمن يعصرونه خمراً، وأن الفُقَهَاء لا يبلغون في ذلك أبعد من الكراهة[٨٢]. وتشدد الفَقِيه ابْنِ الْعَرَبِيّ في تطبيق العقوبة على شارب الخمر وصلت الى ثقب الشدق حتى هاجوا"[٨٣] ومع ذلك لم تفلح جهود الفُقَهَاء في اقتلاع جذور هذه العادة إذ استمر صنع الخمور داخل المنازل سواء من عصير العنب أو العسل[٨٤].

نهى الفُقَهَاء عن استخدام الْعَامَّة لبعض الألعاب خاصة في عيد النيروز[٨٥] وألعاب مثل الشطرنج واعتبارها من شغل البطالين[٨٦]، وحاربها ابن عَبْدون واعتبرها قماراً تلهي عن الفرائض[٨٧]، ورغم ذلك انتشرت اللعبة انتشاراً واسعاً فعرف أَبُو بَكْرٍ بن زُهر (ت ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م) [٨٨] بأنه: "جيد اللعب بالشطرنج"[٨٩] كما اشتهر الفَقِيه أَبُو بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيّ:"بمهارته في هذه اللعبة"[٩٠].

ندَّد بعض الفُقَهَاء بطوائف الحشم والعُبَّيد في الدَّوْلَة المُرَابِطية وما كانوا يأتونه من أبواب الفجور، ولعلها هنا أعمال السلب والنهب، و:"يجب أن لا يلثم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي، فإن الحشم والعُبَّيد، ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على النَّاس ويهيبونهم

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

ويأتون أبوابا من الفجور كَثِيرَة بسبب اللثام وهما ويكلم في ذلك مع السلطان"[٩١].

سجل بعض الفُقَهَاء تجاوزات بعض رِجَال السُلْطَة وأعوان الحكومة، وأخطاء من القُضَاة وبعض الانحرافات في المعاملات كالغش والتّدليس والتحايل، وتعدي النَّاس بعضهم على بعض، وأبرزوا استغلال بعض الوجوه وظائفهم، أو وظائف أقاربهم ليحتموا بهم من أجل الإثراء، وتعطيل الحقوق والانتصاف منهم، وعن ظهور البدع والمخالفات، وعن العلاقات العائلية والزوجية في حالات الهدوء والغضب، وحالات الْحَيَاة والْمَوْت[٩٢]. كما تناولت العلاقات بين الْمُسْلِمِين وأعدائهم في السَّلْم والْحَرْب، والتعامل التِّجَارِي بينهم في أوقات الهدنة وحالات نقضها، وعن افتداء الأسرى وعن أفضلية الجِهَاد أو الْحَج لأهل الأَنْدَلُس والْمَغْرِب في تلك العهود[٩٣].

تدخل الفُقَهَاء في أدق الأمور الاجْتِمَاعِيَّة للأُمَرَاء منها: استفتاءات لعَلِي بْن يُوسُف بن تَاشفِيْن حول عِلْم الْكَلَام، والْمَذْهَب الظَّاهرِيَّ، وفتاوى عن إجلاء المُعَاهِدِين من الأَنْدَلُس، واستفتاءات أحد ولاة المُرَابِطين عن كيفية التوبة من ظلم الرّعيّة، وأُخْرَى عن تفشي نهب الأراضي عند أهل الصَّحْرَاء، وفتوى عن أسبقية الجِهَاد على فريضة الْحَج، وفتاوى أُخْرَى عديدة طرحها بعض أفراد الأسرة المُرَابِطية[٩٤]. و"شهادة أهل الظاهر" ومروراً بأسئلة وردت عليه من الْمَغْرِب حول "صفة المفتي" وانتهاء بمجموعة أُخْرَى مطولة من الفتاوى حول العقيدة الأشعريَّة وموقف النَّاس منها خلال بداية الْقَرْن الخَامِس الهِجْرِي[٩٥].

تصدى بعض الفُقَهَاء لظاهرة الانحلال والفساد الذي عرفته بعض الحواضر الأَنْدَلُسيّة في عصر المُرَابِطين كإشبِيلِيّة، فقالوا فيها: "وهذه الْمَدِينَة من أحسن مدن الدنيا، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة، وانتهاز فرصة الزَّمَان الساعة بعد الساعة يعينهم على ذلك ووديها الفرج وناديها البهج"، حيث ابتذلت فيها المَرْأَة في أوساط الخاصة كما انتشر في بعض الأوساط البغاء وسميت البغايا بالخراجيات أو "خرجيرات"[٩٦]، وكان لهن أماكن خاصة في بعض الفنادق التي سميت بدور الخراج، وكانت البغايا أو الخراجيات يقفن خارج الفندق بكامل زينتهن المبالغ فيها، متبرجات كاشفات عن شعورهن لإغراء الرِّجَال، وتحريض النِّسَاء أيضاً، فقرر ابن عَبْدون صاحب الْحِسْبَة أن يمنع نساء دور الخراج عن كشف رؤوسهن خارج الفنادق، والتحلي للنساء، وينهين عن السير بينهن ولو سمح لهن بذلك، بل كان من الممكن الإرسال في طلب الخراجيات إلى المنازل[٩٧].

عمل الفُقَهَاء على الحفاظ على الآدَاب الْعَامَّة؛ فقد ذكر ابن عَبْدون الإشبيلي في حسبته محذرًا بقوله: "ويُمنع النِّسَاء من الغسل في الأجنة (البساتين)، فإنها أوكارُ الزنا"[٩٨]، وفي الأعياد نهى ابن عَبْدون والطُّرْطُوشِي أن "يمشي الرِّجَال والنِّسَاء على طريق واحد"[٩٩]، وطلب ابن عَبْدون أن لا يجلس للنساء على ضفة الوادي في فصل الصيف، إذا ظهر الرِّجَال فيه. وبلغ الشباب الماجن درجة إقلاق النِّسَاء والكشف على النِّسَاء المحزونات في مقبرة إشبِيلِيّة، كما أفسدوا على النِّسَاء راحتهن أيَّام العيد حيث أمر المُحْتَسِب والسلطان أن لا يترك الشبان أيَّام العيد يجلسون فيها (المقبرة) على الطرق لاعتراض النِّسَاء، ويجدُّ في منع ذلك المُحْتَسِب ويعضده الْقَاضِي، يجب أن يمنع السلطان أن يُجلس على أفنية القبور لمراودة النِّسَاء ويتعاهد ذلك كل يوم مرتين[١٠٠].

تصدى ابن رُشْد لانتشار "المناكير في الطّرقات ومن حمل الخمر فيها، ومشي الرِّجَال مع النِّسَاء الشّوابّ يحادثونهنّ، وما أشبه ذلك من المناكير الظّاهرة، وأوجب على الإمام تغييرها ويولّي من يجعل إليه تفقّد ذلك والقيام به"[١٠١].

انتشرت ظاهرة عشق الغلمان[١٠٢] في أوساط الخاصة دون انكار وجودها في أوساط الْعَامَّة كذلك، ولم يخف ابن قُزمانَ[١٠٣] (ت ٥٥٥ هـ /١١٦٠م) ولعه بالغلمان[١٠٤]. ورغم ما عرف عن أبي عَبْد الله بن عَائِشَة من زهد وورع، فإنه ظل يعشق غلاماً ويهواه[١٠٥]، بل وانتشرت الآفة حتى بين بعض الفُقَهَاء[١٠٦]، وانتشر اللواط والزنا وطرحت المشاكل تلك على الفُقَهَاء فقد أشارت إحدى النوازل إلى حالة امرأة:"حملت من زنا مرتين وأنها قتلت ما ولدت"[١٠٧] وأصبح إسقاط الجنين من بطن الزانية مسألة تتردد في كتب الفتاوى. كما أشارت كتب الفُقَهَاء إلى مجموعة من العقوبات ووسائل الزجر، بعضها محدد شرعا كالجلد في حد الخمر والقذف والزنا، في حين كان يترك تقدير عدد الجلدات بالسياط لاجتهاد القُضَاة في حالات تأديب أخرى[١٠٨]. وقد أبطل الفُقَهَاء واجب "الْحِسْبَة"، وهي الأمر بالْمَعْرُوف والنهي عن المنكر، فلم يقوموا بتغيير مظاهر التحلل التي ظهرت في الدَّوْلَة، وكان بإمكانهم لتمكنهم من الحكم أن يقوموا على تغييرها، لكنهم جاروا الْعَامَّة في غرائزها وبحثوا عن أنفسهم، بل قاوموا المخلصين الذين حاولوا التغيير ورموهم بالتكفير والمروق[١٠٩].

هاجم الفُقَهَاء بعض ظواهر العصر السلبية منها ما عرف عن أهل بلدة إشبِيلِيّة من تربية الشعر بطريقة غير مقبولة؛ فكان الفَقِيه ابْنِ الْعَرَبِيّ يعاقب من فعل ذلك في مدة توليه الْقَضَاء بحلق الشعر والضرب، قال أبوبكر بن الْعَرَبِيّ: "وقد كنت أيَّامِ الحكم بين النَّاس أضرب وأحلق، وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربي شعره عونًا على المَعْصِيَة، وطريقًا إلى التجمل به في الفسوق، وهذا هو الواجب في كل طريقة للمعصية أن يقطع إذا كان ذلك غير مؤثر في البدن"[١١٠].

استنكر الفُقَهَاء تشييد البعض جدراناً وسقائف على قبور موتاهم[١١١] وكذلك عادة التبرك بقبور أَوْلِيَاء الله التي انتشرت خاصة بين النِّسَاء حتى أن ابن عَبْدون طالب أن تغلف الكوى المصنوعة من القصاب. وكذا الغرف والابواب المطلة على جهة المقابر حتى لا تكشف النِّسَاء اللائي جئن بكثرة للتبرك بقبور

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الصالحين[١١٢]. ونهى ابْنِ الْعَرَبِيّ عن زيارة القبور[١١٣] وأنه لا ينتفع بها ومنع ابن الْحَاج تقبيل القبور معتبراً ذلك بدعة[١١٤].

(٥) الفُقَهَاء وحقوق المَرْأة الأندلُسية

توقفت وضعية المَرْأة في المُجْتَمَع المُرَابِطي على وضع اسرتها وطبقتها الاجْتِمَاعِيَّة وموقف الفُقَهَاء منها : حيث اعتبروها ضعيفة غير قادرة على تحمل المسئوليات، ووصفها ابن عَبْدون بالغباء وانعدام التفكير السليم:"فالجهل والخطأ فيهن أكثر"[١١٥] كما لم يسمح باختلاطهن مع الرِّجَال[١١٦]، ونهى النِّسَاء عن التحلي بالزينة[١١٧] أما ابن المناصف (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) فقد منعهن من التزين أو الخروج للتنزه بل حتى المشاركة في الأفراح[١١٨]. وذهب الفَقِيه الطُّرْطُوشِي أبعد من ذلك حين اعتبر عزائهن بدعة "فلا يعزيها إلا ذوو رحم"[١١٩]. واستندت منزلة المَرْأة وفقاً لوضعيتها الاجْتِمَاعِيَّة لأهلها وأن الصورة المُشْرِقة التي أمدتنا بها بعض المَصَادِر حول المَرْأة المُرَابِطية لا تنطبق إلا على بنات الوجهاء[١٢٠].

بالنسبة لحقوق المَرْأة الأَنْدَلُسيّة؛ فمن خلال نوازل الفُقَهَاء وجدنا معطيات تؤكد بأن المَرْأة الأَنْدَلُسية كان لها الحق في امتلاك أرض زراعية[١٢١]. كما يوضح ذلك ابن الْحَاج عندما أورد رسم إثبات ملكية جاء فيه:" يشهد من يتسمى في هذا الكتاب من الشهود أنهم يعرفون المال العقار الذي لأم ناجية المَعْرُوفة بهبتي ابنة مُحَمَّد بن فرج بحارة يُونُس المَعْرُوفة ببني سالم من قرية مريانة الغافقي من إقليم الشرف كورة إشبِيلِيّة. منه فدان بمقربة من دور الحارة المَذْكُورَة وبغربها. فيه من شجر الزيتون مائة أصل واحدة وخمسة أصول وفي القبلة مال لابن شجرة، و في الجوف مال للسلطان، وفي الشَرْق جنان شرقية فيها أصلان من شجر الزيتون ونقيلات زيتون حديثة الغرس"[١٢٢]. وتفيدنا نماذج من كتب الأَحْكَام وكتب الفتاوى والنوازل بأن النِّسَاء كان بإمكانهن امتلاك استغلاليات. فقد سئل أبو المطرف الشعبي المالقي (ت ٤٩٧ هـ /١١٠٣م) عن جواز أو عدم جواز صدقة امرأة كانت لها دار و أحقال تصدقت بهما على ابن لها. فلم يزل الابن يعمر الأحقال و الأم ساكنة في الدار حتى يوم وفاتها[١٢٣].

كما سئل ابن رُشْد فيمن تزوج امرأة على أن ساق إليها نصف بقعة محدودة. و تكون بينهما بنصفين[١٢٤]، وسئل أيضا في موضوع: "رجل تزوج امرأة على أرض مسماة قد عرفتها المَرْأة، على أنه إن لم يكن فيها وفاء بها، أكمل لها البقية من أرض له أخرى قد عرفتها المَرْأة أيضا ووقفت عليها"[١٢٥].

(٦) الفُقَهَاء وحقوق غير الْمُسْلِمِين الاجْتِمَاعِيَّة

تعددت الآراء حول موقف المُرَابِطين وفُقَهَاء دولتهم من جهة؛ وموقف عامة الشعب الأَنْدَلُسي من جهة أخرى؛ فالمستشرق فرانشيسكو كوديرا Codera اتهم الفُقَهَاء والأُمَرَاء بعدم التسامح مع النَّصَارَى والتشدد في مسألة ضرورة هدم الكَنَائِس، كما اتهم كوديرا يُوسُف بن تَاشفِيْن بالتعصب وخضوعه لرأي الفُقَهَاء[١٢٦]، أما المستشرق الإسباني سيمونيت فقال: "أن مسيحيي غَرْناطة تعرضوا للاضطهاد من حاكم غَرْناطة، نتيجة لتعصب المُرَابِطين، وهدمت كَنَائِسهم واضطهد قساوستهم ونقض قوانينهم"[١٢٧]، أما منندز بيدال فقد أنفق جانباً كبيراً من حياته ليقلل مما فعله المُرَابِطون؛ فألف كتاباً سماه "إسْبَانيَافي عصر السيد"، ووصف المُرَابِطين بالهمج[١٢٨]، واتفق المؤرخ سكوت مع المُؤَرِّخِين السابقين على اتهام الفُقَهَاء باضطهاد المسيحيين في الأَنْدَلُس ومصادرة ممتلكات الكَنَائِس والأديرة[١٢٩].

انتقدهم على هذا المستشرق الهولاندي "رينهارت دوزي" فقال: "كان مجيء المُرَابِطين إلى الأَنْدَلُس نذيرا بانقلاب بعيد المدى فقد دالت دولة الحَضَارَة وقامت الهمجية على أنقاضها، أما حسن الإدراك فقد حلّت محلّه الخرافات، ذهب التّسامح وسيطر التّعصب وأصبحت البلاد تحت سيطرة الفُقَهَاء والأُمَرَاء، وبدل من أن نسمع مساجلات العُلَمَاء في دور العلم ومناقشتهم في الفَلْسَفَةِ ونشيد الشُّعَرَاء وغناء أهل المُوسيقَى، بدأنا لا نسمع إلا أصوات الفُقَهَاء وصليل السيوف"[١٣٠].

من خلال تتبع النصوص وجدنا اختلافاً في مواقف الفُقَهَاء من النَّصَارَى فتارة يضيقون عليهم الخناق وتارة أخرى يمنحونهم حريات: بالنسبة للمضايقات التي تعرضوا لها كانت لعدة أسباب منها: أن الفُقَهَاء اعتبروا أراضي الأَنْدَلُس التي أقام فيها النَّصَارَى أراضي عنوة، لذلك لم يسمحوا لهم ببناء كَنَائِس حسب مقتضيات الفقه المالكي[١٣١]. كما أن الحروب الصليبية التي بلغت ذروتها في هذه الفترة جعلت الفُقَهَاء يستغلونها ذريعة لاتخاذ مواقف متعددة، ولذلك كان هدم كَنِيسَة إلْبِيرَة (Elvira) سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م وقع في السنة نفسها التي استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس، استطاع ابن رُشْد أن يقنع عَلِي بْن يُوسُف بتغريب النَّصَارَى المُعَاهِدِين سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م، فنفيت جموع غفيرة منهم إلى الْعُدُوة (الْمَغْرِب)[١٣٢].

ظهر خلال الحكم المُرَابِطي للأندلس فئة المدجنون، أي الأَنْدَلُسيين الذين بقوا في مدنهم تحت سيطرة المَمَالِك الإسبانية. هذه المَمَالِك التي بدأت تسيطر على أهم قواعد الأَنْدَلُس اعتباراً من عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م حيث سيطر أَلْفُونْسُو السَّادِس على مدينة طُلَيطِلَة واتخذها عاصمة لمملكته. وتلا هذا التَّارِيخ سيطرة الإسبان على قواعد أندلسية خلال الحكم المُرَابِطي. وقد تعرض هؤلاء المدجنون إلى الاضطهاد والتنصير والإفناء بعد انتصار المُرَابِطين في معركة الزَّلاَّقَة عام ٤٧٩ هـ/١٠٨٦م. وبمرور الزمن تعرضت هذه الجماعات إلى الانحلال والانقراض بتوالي الأجيال، وانقطاع الصِّلَة بمواطن العروبة والإسْلام، فأخذوا يفقدون الكثير من أخلاقهم وتقاليدهم ولغتهم. ومع ذلك فقد ظلت بقايا قليلة منهم، رغم الإرهاب، محتفظة بعروبتها حتى أواخر الْقَرْن العَاشِر الهِجْرِي (السَّادِس عشر الميلادِي)[١٣٣].

على الجانب الآخر تقبل بعض الفُقَهَاء المَكَانة الاجْتِمَاعِيَّة المرموقة التي نالها بعض النَّصَارَى ووصف أحدهم بأنه: "ذو جاه

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

ومقدرة"[١٣٤]، وكيف أن بعضهم كسب ثروات طائلة بطرق غير شرعيّة في عَصْر مُلُوك الطّوائف، وتمكن من الاحتفاظ بها لنفسه عن طَرِيق الاحتماء وراء: "**أَصْحَاب النفوذ والجاه**"[١٣٥]، وكيف حظوا أيضاً برعاية الدَّوْلَة خاصّة في عَهْد عَلِي بْن يُوسُف بن تَاشفِيْن الذي كان يشملهم بعطفه ورعايته، حتى إن إِحْدَى الوَثَائِق الْمَسِيحيّة أكدت أن تعلقه بالنَّصَارَى فاق تعلقه برعيته، وأنه أنعم عليهم بالذَّهَب والْفِضَّة وأسكنهم القصور[١٣٦]، واستعملهم عَلِي بْن يُوسُف ضمن حرسه الخاص لأول مرة في تاريخ الْمَغْرِب واستمر استخدامهم في عَهْد خلفائه؛ ففي إِحْدَى الرّسائل الرّسميّة المُرَابِطية التي بعثها تَاشفِيْن بْنُ عَلِي إلى القُضَاة والفُقَهَاء يأمرهم بعدم إسناد وظائف الدَّوْلَة لأَهْلُ الذِّمَّة وهو يعكس ما حدث على أرض الواقع[١٣٧].

لم يجد ابن رُشْد أي حرج في تحويل حكم كان لصالح مسلم إلى نَصْرَانِي ثبت أن حقه قد هضم"[١٣٨]، ويستشف من رِوَايَات أُخْرَى أن النَّصَارَى لم يمنعوا من تناول الخمور"[١٣٩]، كما سمح لهم باستغلال المرافق الاجْتِمَاعِيَّة الضرورية، إذ تنص إِحْدَى فتاوى ابن رُشْد على عدم منعهم من استقاء المياه مع الْمُسْلِمِين من الصهاريج، بل سمح لهم بالْخُرُوج مع الْمُسْلِمِين في صلاة الاستسقاء، وكل هذه القرائن تعكس مدى التعايش المشترك بين شعوب الديانات الثلاث بالأَنْدَلُس[١٤٠].

أقرت فتاوى ابن سَهْل في كثير من أحكامها إحقاق الحق لأَهْلُ الذِّمَّة مع البينة دون أي اعتبار آخر، مثل فتوى ادعاء يهودي ملكية غلام. وفتوى ادعاء نصرانيين لملكية فدان. وفتوى في موضوع خلاف بين مسلمة ورهبان. وفتوى في تحبيس جنة من يهوديين، وفتوى تتعلق بإحقاق حق ليهودي دلال. وفتوى تخص فدان محبس على مسجد وادعى القومس أنه من أرض الجزية[١٤١]، وأقر ابن عبد الرءوف ثمن بيع الخمر للنصراني إذا حدث وباعه لمسلم وقبض الثمن، مع أن أصل الْبَيْع حرام[١٤٢].

كما استفتى عَلِي بْن يُوسُف بن تاسفين الْقَاضِي أبا القاسم أَحْمَدُ بن مُحَمَّد، الذي شاور بدوره فُقَهَاء غَرْنَاطة في حقوق النَّصَارَى المُعَاهِدِين المنقولين من إشبِيلِيّة إلى مكناس، فأثبت الحق لهؤلاء بالطرق الشرعية الضامنة لحق أَهْلُ الذِّمَّة[١٤٣].

أفتى الْقَاضِي أبو عَبْد الله بن الْحَاج الذي كان معاصرا لابن رُشْد، في صحة فداء أسرى نصارى، اعتمادا على رسوم أثبتوها هم أنفسهم[١٤٤]. كما ذهبت مجموعة من مستعربي غَرْنَاطة إلى بلاط الأمير المُرَابِطي عَلِي بْن يُوسُف لتقديم شكوى حول العسف والجور الذي تعرضت له من قبل عامل الْمَدِينَة المسمى **عُمَرُ بْن يناله**. فلما ثبت للأمير حجتهم أمر بسجنه: "**وأنصفهم من ظلاماتهم**"، لم يجد الْقَاضِي ابن رُشْد أي حرج في تحويل حكم كان لصالح مسلم إلى نَصْرَانِي ثبت أن حقه قد هضم[١٤٥].

أما مسألة هدم كَنِيسَة إِلْبِيرَة سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨م فبرر لها البعض: أن وقوع تلك الْحَادِثَة ليس معناه أن كل الكَنَائِس تعرضت للهدم فابن عَبْدون (من أهل الْقَرْن السَّادِس الهِجْرِي / الثَّانِي عَشَر المِيلادِي) تحدث في حسبته عن كَنِيسَة إشبِيلِيّة Sevilla، وأشار أبو حامد الغرناطي وهو معاصر للمرابطين إلى كَنِيسَة قرب مَدِينَة غَرْنَاطة، كما وجدت بالْمُرِيَّة أيضا كَنِيسَة صَغِيرَة كان يؤمها جل المستعربين القاطنين بهذه الْمَدِينَة، وظلت بعض الكَنَائِس موجودة حتى الْقَرْن الثامن الهِجْرِي / الرابع عشر المِيلادِي مثل كَنِيسَة الأسر بقُرْطُبَة التي حظيت بالقداسة والتعظيم؛ وكَنِيسَة حومة بلورقة[١٤٦] فضلا عن كَنِيسَة شهيرة بأونبة[١٤٧].

يستشف من رِوَايَات أُخْرَى أن النَّصَارَى لم يمنعوا من تناول الخمور[١٤٨]:"وعثر أعوانه - الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيّ - على حامل خمر، فباحثه وتخفى في سؤاله ليجد في لفظه طَرِيقا إلى عقابه، فطمس الرجل أمره وأبهم حجته فقال: "عندي خادم رومية على دينها فابتعتها وحملتها إليها "فتركه الْقَاضِي لشأنه كما سمح لهم باستغلال المرافق الاجْتِمَاعِيَّة الضرورية، إذ تنص إِحْدَى فتاوى ابن رُشْدعلى عدم منعهم من استقاء المياه مع الْمُسْلِمِين من الصهاريج، بل سمح لهم بالْخُرُوج مع الْمُسْلِمِين في صلاة الاستسقاء، وكل هذه القرائن تعكس مدى التعايش المشترك بين شعوب الديانات الثلاث بالأَنْدَلُس[١٤٩].

أما عن موقف عامة النَّاس: فرغم المحاذير الدِّينِيَّة التي كانت يطلقها بعض الفُقَهَاء الذين اعتبروا مُشَارَكَة مُسْلِمِي الأَنْدَلُس في الأعياد الْمَسِيحيّة بدعة[١٥٠]، فإن الْمُجْتَمَع الأَنْدَلُسي غالباً ما تجاوز هذه الممنوعات الفقهيَّة، مما يعكس روح التسامح والتشارك الحضاري.

لم يكن احتفال الْمُسْلِمِين الأَنْدَلُسيين بهذه الأعياد وقفاً على عيد بعينه، بل كان يشمل جميع الأعياد المسيحية، ولم يكن محصوراً في فئة معينة من أبناء مسلمي الأَنْدَلُس، وَإِنَّمَا شمل معظم طبقات الأَنْدَلُس من الرِّجَال والنِّسَاء والصغار والكبار والرعية والْحُكَّام والأدباء والجواري والحرائر؛ فمن الأعياد التي شارك فيها مُسْلِمِو الأَنْدَلُس إخوانهم الْمَسِيحيين عيد يناير الذي كان يحتفل به في النصف الأوّل من هذا الشَّهْر، وهو احتفال أفاضت الْمَصَادِر الأَنْدَلُسيّة في وصف مظاهره[١٥١]؛ فحسبما يستشف من أزجال ابن قُزمانَ، فإن الْمُسْلِمِين انطلاقا من مبدأ التعايش المشترك، لم يجدوا غضاضة في التحلي بأجمل الأَزْيَاء في هذا العيد المسيحي، واستضافة الأصدقاء والأحباب لقضاء أجواء اللَّيْل في الاحتفال والسمر، وتغص الموائد بأصناف الحلويات وغيرها من شتى أصناف المأكولات، بل إن بائعي الفَوَاكِه كانوا يطرقون أبواب منازل الْمُسْلِمِين في الأَنْدَلُس لبيع ما تستلزمه هذه المناسبة من احتفال، وتعبيراً عن مشاركتهم فيها[١٥٢].

ضرب نساء إشبِيلِيّة المسلمات عرض الحائط بأوامر الْمُحْتَسِب ابن عَبْدون بعدم مَصَاحِبَة النِّسَاء النَصْرَانِيات إلى الكَنِيسَة[١٥٣]. كما أن دَعْوَته لإحداث قطيعة بين الْمُسْلِمِين والْيَهُود لم تكن سوى

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

صيحة في واد، لأن اجتماع الطَّوَائِف الأَنْدَلُسيّة أصبح أمراً مألوفاً في الأَسْوَاق والمرافق الاجْتِمَاعِيَّة التي نهى عنها مُحْتَسِب إشبيليّة[١٥٤].

كما شارك الْمُسْلِمون النَّصَارَى احتفالهم بعيد ميلاد يَحْيَىَ بن زَكَرِيَّاء أو عيد (سان خوان) San Juan، وهو الْمَعْرُوف ب" **العُنْصُرَة** "[١٥٥]، في الرابع والعشرين من يونيه، وفيه كانت تجتمع النَّصَارَى يشعلون النار ويوقدون الشموع، ويحضر ذلك جموع غفيرة من الْمُسْلِمين عبرت عنها الْعَامَّة بقولها "كفزها بحل عنصر"[١٥٦].

ذكر الطُّرْطُوشِي أن الأَنْدَلُسيين كانوا يتشبهون بالنَّصَارَى في احتفالهم بهذا العيد فيشترون بعض الأطعمة التي تعد في هذه المناسبة مثل المجبنات[١٥٧] والإسفنج[١٥٨] وهي من الأطعمة المبتدعة لمشابهتها بالكفار، وقد ورد في اخْتِصَار القِدْح المُعَلَّى فِي التَّارِيخ المُحَلَّى في الترجمة لأبي الْحَسَن علي بن جابر الدَّبَّاج الإشبيليّ أن الطُّلاَّب كانوا يخرجون في الأعياد في رحلات مع شُيُوخهم فيأكلون المجبنات، على عادة إشبيليّة يوم خميس إبريل، وقد خرج الدَّبَّاج مع طلبته برسم الفرجة، وأكل المجبنات يوم خميس إبريل، على عادة أهل إشبيليّة[١٥٩].

وورد في كتاب "المِعْيَارُ المُعْرِب" للونشريسي إشارات كثيرة لما كان يفعله أهل الأَنْدَلُس احتفالا بهذه الأعياد، فمن ذلك أن أهل البادية منهم كانوا يوم العُنْصُرَة ينشرون ثيابهم ويصومون الخيل قبل الصلاة[١٦٠]، ومما كان يفعله الأَنْدَلُسيون في العُنْصُرَة "إجراء الخيل والمباراة" [١٦١].

وكانت نساء الْمُسْلِمين يدخلن الحمام مع الكتابيّات من غير مئزر[١٦٢]. ويسجل الوَنْشَرِيسي[١٦٣] صورة الْعَامَّة، من صغار وكبار، وهم يشاركون النَّصَارَى في احتفالاتهم بهذا العيد، وقد انغمروا في "رش الماء في الأَسْوَاق، وتزليق الطرق، واللعب بالمقارع والعصي في الشوارع"[١٦٤].

تفيدنا فتوى فِقْهِيَّة بما كان يفعله الْمُسْلِمون وهم يحتفلون مع النَّصَارَى بعيد سان خوان أو العُنْصُرَة من التباري بالْخَيْل[١٦٥]، وكان الْمُسْلِمون حسب ما سجلت فتوى لأبي عَبْد الله بن الأَزْرَق . يتقبلون من جيرانهم أَهْلُ الذِّمَّة من الْيَهُود كذلك بعض ما يهدونهم إياه من فطائر ورغائف يصنعونها في بعض أعيادهم[١٦٦]، ومما يكشف لنا عن آثار الاحتكاك والتعامل اليومي بين الْمُسْلِمين والْمُعَاهِدِين من النَّصَارَى خاصة دخول الْمُسْلِمين، والنِّسَاء منهم خاصة، كَنَائِس النَّصَارَى لحضور احتفالات الزفاف والتعميد، وهو ما أفاد به ابن عَبْدون حين نبه إلى وجوب :"منع النِّسَاء المسلمات من دخول الكَنَائِس المشنوعة –المذمومة-" [١٦٧]. كما تفيدنا واقعة فِقْهِيَّة أخرى بما كان من عادة مُشَارَكَة الْمُسْلِمين أَهْلُ الذِّمَّة في تعطيل العمل يومي السبت والأحد[١٦٨].

عند تتبّع أحوال الْيَهُود في الأَنْدَلُس في عصر الْمُرَابِطين فإن الدِّرَاسَات الْيَهُودية تقول: أنهم عاشوا في رخاء نتيجة الازدهار الاقتصادي الشَّامل للبلاد[١٦٩]، ولذلك بلغوا درجة كَبِيرة من الثراء مما أدى إلى مساهمتهم في إغناء الْحَيَاة الأَدَبِيَّة والفِكْرِيَّة والاقْتِصَادِيَّة[١٧٠]، ومن يهود الأَنْدَلُس الذين برزوا في عصر الْمُرَابِطين يهوذا اللاوي[١٧١].

أعاد الْمُرَابِطون العائدون من معركة الزَّلاَّقَة إلى الْيَهُود أملاكهم التي سبق أن فقدوها أثناء الثّورة على الوَزِير الْيَهُودي يُوسُف بن إسْمَاعِيل، وأشار كل من دوبنوف(DUBNOV) [١٧٢] والموسوعة العبرية[١٧٣] إلى أن يهود إشبيليّة عاشوا في سلامٍ تحت حكم الْمُرَابِطين، وفي عصر الْمُرَابِطين عاد كثير من الْيَهُود إلى غَرْناطة"[١٧٤].

تمتع الْيَهُود بمكانة كبرى في عصر الْمُرَابِطين[١٧٥]، فقد عين أمير الْمُسْلِمين عَلِي بْن يُوسُف الْيَهُودي أبا أَيُّوب سُلَيْمَان بن المعلم طبيباً خاصاً له، وكان يحمل لقب الوَزِير الفخري، وكان هو والطبيب الْيَهُودي إبْرَاهِيم بن كامينال وكيلين ماليين للدّولة يعملان في مجال جمع الجِزْية المفروضة على الْيَهُود[١٧٦]، وكان لعُمَرُ بْنُ عَلِي بْن يُوسُف كاتب يهودي[١٧٧].

رغم تشدد بعض الفُقَهَاء في فرض بعض الأَزْيَاء على الْيَهُود، ومنعهم من ارتداء بعضها[١٧٨]، فإن الواقع التَّارِيخي يثبت أن هؤلاء قلدوا أزياء الأعيان الْمُسْلِمين، متجاوزين بذلك كل المحاذير الفقهيَّة؛ ففي نازلة وردت على أحد أَصْحَاب الْقَاضِي أبي بَكْر بْنِ الْعَرَبِيّ أن رجلا يَهُودِيّاً كان يرتدي عمامة وخاتماً، ويركب السروج على فاره الدواب على عادة الْمُسْلِمين في الأَنْدَلُس، ويجلس في حانوته دون غيار ولا زنار يتميز به عن عموم الْمُسْلِمين، مما يؤكّد صحة التعايش المشترك القائم على مبدأ التسامح[١٧٩].

(٧) موقف الفُقَهَاء من الغِنَاء والطَّرَب والْموسيقَى

أنكر الفُقَهَاء الطَّرَب والغِنَاء[١٨٠]، وأن المتتبع لسبيله يؤدي به إلى الانحراف[١٨١] حرَّم الفُقَهَاء استخدام آلات اللهو والطَّرَب والموسيقي باعتبارها أموراً منكرة في الدين ولم يقبلوا شهادة المغني، ولم يسمحوا أن تباع كتب الْمُوسيقَى علنًا، واعتبروا تفنن النَّاس في الغِنَاء والطَّرَب، يشغلهم عن الاستعداد للجهاد، وحاربوا اللهو والملاهي[١٨٢]. وقام الطُّرْطُوشِي بكتابة رِسَالَة وخصصها للحديث عن الغِنَاء والْمُوسيقَى، تحت عنوان: "رِسَالَة في تحريم الغِنَاء والْمُوسيقَى[١٨٣]. وحرم الجرسيفي الغِنَاء والطَّرَب فقال: "صوتان ملعونان في الدنيا وفي الآخرة: النياحة والزمير"[١٨٤]، وحرم يحيي بن عُمَر آلات الْمُوسيقَى وتساهل في الدف المدور[١٨٥].

على الرغم من تشدد الفُقَهَاء إلا أننا نجد أن فن الموسيقي والغِنَاء قد ازدهر بشكل كبير نتيجة ميل الأَنْدَلُسيين بصفة عامة للغناء والموسيقي[١٨٦]، وواجه الفُقَهَاء مقاومة عنيدة من عامة أهل الأَنْدَلُس حيث برع العديد منهم في العزف على القيثارة والدف والمزمار والطبلة والعود والغِنَاء[١٨٧]. وسميت آلات الموسيقي عند البعض باسم الملاهي. وكان أهل الأَنْدَلُس يغنون ويطربون بأسلوب الغِنَاء المسيحي الأَنْدَلُسي، حيث برز ابن باجة (ت ٥٢٢هـ / ١١٢٨ م) فيلسوف الأَنْدَلُس في الألحان[١٨٨]، وكان وزيراً لأبي بَكْر بن تَيْفُلويت (ت٥٠٩هـ/١١١٦م) صاحب سَرَقُسْطة، فلما تُوفّي نظم ابن باجة قصائد في رثائه، وغنى بها في ألحان مبكية[١٨٩].

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

على يد ابن باجة تخرج بعض التلاميذ، ونعرف منهم أبا عامر مُحَمَّد بن الحمارة الغرناطي، الذي برع في علم الألحان، واشتهر عنه أنه كان يذهب للشعراء فيقطع العود بيده، ويصنع منه عودا للغناء، وينظم الشعر ويلحنه ويغني به[١٩٠] ومنهم إسحاق بن شمعون الْيَهُودي القرطبي: "أحد عجائب الزَّمَان في الاقتدار على الألحان "وكان يغني ويضرب بالعود"[١٩١].

لم يلبث الأَنْدَلُسيون أن ضاقوا ذرعا بحكم المُرَابِطين لتسليطهم الفُقَهَاء على النَّاس، ولتضييقهم شيئا مما تعوده الأَنْدَلُسيون من حرية. كما لم يلبث أُمَرَاء المُرَابِطين أن تشبهوا بالأَنْدَلُسيين في الأخذ بأسباب التحضر، وتقريب طَبَقة المثقفين، والعمل على تزيين مجالسهم بما يمحو بساطة الصَّحْرَاء، وجنح بعضهم إلى الاستبداد، وابتعدت المسافة القائمة بين فئتي الادارة العليا، الفئة الاولى ويمثلها أمير الْمُسْلِمِين الصالح الزاهد المتبتل وحوله الفُقَهَاء يتجادلون مجادلات نظرية في شئون الدين، والفئة الثانية ويمثلها ولاة مباشرون على الأَنْدَلُس، مستبدون أو ضعاف تتصرف النِّسَاء في شؤون ولايتهم[١٩٢]، وكان معنى ذلك أن أية ريح قوية تهب على الدَّوْلَة، ستعصف بها. ولم يكد المُوَحِّدون يظهرون حتى كان القُضَاة والمغامرون في الأَنْدَلُس قد أعلنوا استقلالهم، كل في بلده وناحيته[١٩٣].

تعرض بعض الفُقَهَاء لنكبات اجْتِمَاعِيَّة أواخر عصر الدَّوْلَة المُرَابِطية مثلما وقع للفقيه علي بن عَبْدِ الْعَزِيزِ الإِمَام الأَنْصَارِيّالذي اضطر إلى ترك بلده ومفارقة أهله وضياع أمْوَاله. كما أرغم العديد من الفُقَهَاء إلى الهروب تاركين ثرواتهم إبان الفِتْنَة الكائنة في السنين الأخيرة من عصر المُرَابِطين[١٩٤].

شكل بعض الفُقَهَاء في أواخر العصر المرابطي "ديكتاتورية دينية" لذلك فقد كان تسلط الفُقَهَاء من أهم الثغرات التي نجم عنها خلل كبير في جهاز الدَّوْلَة المُرَابِطية[١٩٥]. واستغلوا نفوذهم, وتحولوا إلى طائفة لاتؤمن إلا بمطامعها وأهوائها, واتسمت تصرفاتهم بالقصور, وضيق الأفق، وحجروا على أفكار النَّاس، وحاولوا إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وحده.

يرى بعض المُؤَرِّخِين أن التعصب الأعمى عند فُقَهَاء المُرَابِطين في زمن الأمير عَلِي بْن يُوسُف كان السبب الأول في سقوط دَوْلَة المُرَابِطين، أسهم فُقَهَاء المالِكِيَّة في دَوْلَة المُرَابِطين بقسط وافر في تذمر الرعايا، وإضعاف شأن الإمارة حيث استغل بعض الفُقَهَاء نفوذهم من أجل جمع المال وعاشوا عيشة البذخ والترف[١٩٦]، وبناء الدور، وامتلاك الأرض، وعاشوا حياة البذخ والرفاهية، وكان ذلك سببًا في إيجاد ردة فعل عنيفة عند أفراد المُجْتَمَع المُرَابِطي، وتحولت الميزة الرئيسية، لصفة الدَّوْلَة المُرَابِطية، وهي الأساس الديني، إلى عنصر من عناصر الانحلال، وخضع الأُمَرَاء خضوع الأعمى للفُقَهَاء، الذين غدوا يسيطرون على الأمير، ويحكمون الدَّوْلَة مما مهد لسقوط دَوْلَة المُرَابِطين بعد ذلك[١٩٧].

خاتمة

مما سبق يتضح لنا؛ تعدد الأدوار الاجْتِمَاعِيَّة للفُقَهَاء في عصر دَوْلَة المُرَابِطين؛ وأن طبقة الفُقَهَاء شكلت شريحة اجْتِمَاعِيَّة ذات سند ودعم اجتماعي هائل، وهذا يرجع إلى الدور الذي اضطلعوا به داخل مُجْتَمَعاتهم، وحافظ عدد كبير منهم على وحدة المُجْتَمَع الأَنْدَلُسي وتجنيبه شر الفتن والانشقاقات، منح الْعَامَّة الثقة الكاملة في الفُقَهَاء وقصدوهم في حل العديد من المشاكل الاجْتِمَاعِيَّة. كما تفاعل الفُقَهَاء مع الواقع المُجْتَمَعي وشاركوا في الأحداث ورصدوها. كما شارك الفُقَهَاء النَّاس في المناسبات الاجْتِمَاعِيَّة الكبيرة رصد الفُقَهَاء أحوال الْعَامَّة ومساكنهم، وقدم لنا بعض الفُقَهَاء معلومات هامة عن بعض المظاهر العِمْرَانية والاجْتِمَاعِيَّة في المدن الأَنْدَلُسيّة. وحارب بعض الفُقَهَاء انتشار العديد من المنكرات والأمراض الاجْتِمَاعِيَّة وهو ما يفسر شيوع كتب الْحِسْبَة.

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الهَوامِشُ:

(١) ابن فرحون: **الديباج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة ١٩٧٢. ص ٣٠٣.

(٢) ابن خاقان: **مَطْمَحُ الأَنفُس ومسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣. ص ٢٨٩ - ٢٩٩.

(٣) د. إبْـرَاهِيم الْقَـادِري بوتشـيش: **مباحـث في التَّـاريخ الاجْتِمَـاعِي للمغـرب والأندلس في عصر المرابطين**، ط١، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٨. ص ١٤٥.

(٤) د. مُحَمَّـد فتحـة: **النَـوازل الفِقْهِيَّـة والمُجْتَمَـع: أبحـاث في تـاريخ الغـرب الإسلامي، من القرن ٦ إلى ٩هـ/ ١٢ – ١٥م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء ١٩٩٩. ص ٢٧.

(٥) د. حُسَين مؤنس: **سبع وَثَائِق جديدة**، صحيفة المعهد المصري، مدريد ١٩٥٤. مج٢، ص ٢٢.

(٦) د. مُحَمَّد فتحة: **النّوازل الفِقْهِيَّة والمُجْتَمَع**، ص ١٢٨.

(٧) ابن الأَبّار: **المُعْجَم في اصحاب القاضي الصدفي**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩. ص ١٣٨.

(٨) وذلك عندما أمسك أحد عُبَيْد والي قُرْطُبَة المُرابطي بامرأة فاستغاثت بمن حولها فأغاثوها فوقع بين الجند وأهل قُرْطُبَة فِتْنَة دامت طوال النَّهار، وحينئذ اجتمع الفُقَهَاء بالوالي وطلبوا منه قتل من تسبب في الفِتْنَة ولكنه أبى واستعد لقتالهم من الغد.

ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٥. ج١٠، ص ٥٥٨.

(٩) المصدر نفسه والصفحة.

(١٠) مُحَمَّـد عَبْـد الله عنـان: **دولـة الإسْـلام في الأَنْـدَلُس حتى نهايـة الدولـة العامرية**، ط٣، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٦٠. ج٤، ص ٨٤.

(١١) المرجع نفسه والصفحة.

(١٢) وذلك عندما تصدى ابن رُشْد لحركة أوشكت أن تحدث انشقاقاً في وحدة الأَنْدَلُس، وهي فِتْنَة قُرْطُبَة سنة ٥١٤هـ / ١١٢١م كان سببها والي قُرْطُبَة يَحْيَىَ بن رواده وقد حدث بينه وبين أهل قُرْطُبَة نفور وسوء تفاهم وجرى بين الجانبين اشتباك هزم فيه الوالي وفر من القصر الذي انتهب على إثر ذلك فاضطر عَلِي بْن يُوسُف إلى النهوض إلى قُرْطُبَة ووصل بحشوده إلى ظاهر قُرْطُبَة في شهر ربيع الآخر سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م" فأغلقت قُرْطُبَة أبوابها واستعد أهلها للدفاع عن أنفسهم واستفتوا فُقَهَاءهم فأفتوا: "إذا أصر الأمير على موقفه واستمع لنصح المفسدين وجب القتال دفاعاً عن النفس والحرم". واستدعى الأمير علي الْقَاضِي ابن رُشْد وفُقَهَاء الْمَدِينَة وجرت بينهم أحاديث في أمر الثورة واقتحام قصر الوالي. وكان مُحَمَّد بن داود قَاضِي إشبِيلِيَة في ركاب أمير الْمُسْلِمِين فجعل يعظم الأمر ويبالغ في تصوير شناعته. وتدخل ابن رُشْد لتدارك الموقف وأراد أن يضع حداً للتجاوز وعدم تدهور الموقف. ودافع ابن رُشْد عن موقف أهل الْمَدِينَة وأنهم لم يشقوا عصا الطاعة، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على أن يقوم أهل قُرْطُبَة بالتعويض عما نهب من الْمُرَابِطِين وارتضى أمير الْمُسْلِمِين هذا الاتفاق، لكنه غضب لموقف ابن رُشْد فعزله عن الْقَضَاء وولى مكانه أبا القاسم ابن حَمْدِين. ابن الأثير: **الكامل**، ج١٠ ص ٥٥٨؛ مُحَمَّد عَبْد الله عنان: **عَصْر الْمُرَابِطِين والْمُوَحِّدِين في المغرب والأندلس**، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠. ص ٨٢؛ د. مُحَمَّد الأمين بلغيث: **الْحَيَاة الفِكْرِيَّةُ بالأَنْدَلُس في عَصْر الْمُرَابِطِين** (أطروحة دكتوراه الدَّوْلَة، قسم التَّارِيخ ٢٠٠٣م) ص ٨٩.

(١٣) ابن عبدون: **رِسَالَة في الْقَضَاء والْحِسْبَة**، نشرها: ليفي بروفنسال، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ١٩٥٥. ص ٥

(١٤) المصدر نفسه، ص ١١.

(١٥) المصدر نفسه والصفحة.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(١٧) د. إبْرَاهِيم بوتشيش: **أثر الإقطاع في تاريخ الأَنْدَلُس السِّيَاسِي**(من منتصف الْقَرْن الثَّالث الهِجْرِي حتى ظهور الْخِلافَة، منشورات عكاظ، الْمَغْرِب، ١٩٩٢م)، ص١٤٣.

(١٨) ابن الْحَاج: **نوازل ابن الْحَاج**، مخطوط بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط، تحت رقم (ج٥٥)، ص ٩٠ – ٩١.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٦، ٣٥.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٢٢) عِيَاض: **الغُنية**، ص ٢٨.

(٢٣) **الاشارة في تدبير الإمارة**، ص ١١٣.

(٢٤) ابن رُشْد: **فتاوى ابن رُشْد**، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧. ص ٩٦٣.

(٢٥) اللّثام الّذي كان رمزا للمرابطي في سمّو أخلاقه وعلوّ همّته أصبح ستارا له لسوء سلوكه وقبح فعاله. قال اليكّي:

إنّ الْمُرَابِطَ بَاخِلٌ بنَوَالِهِ لَكنَّهُ بِعِيَالِهِ يَتَكَرَّمُ

الوَجْهَ مِنْهُ مُخلَّقٌ بِقَبيحِ مَا يَأْتِيهِ فَهْوَ مِنَ اجْلِهِ يَتَلَثَّمُ

ابـن إدْرِيـس: **زَادُ الْمُسَـافِرِ وَغُـرَّةُ محيـا الأَدَبِ الْسَـافِر**، (تَحْقِيـق عبـد الْقَـادِر محداد،دار الرائد العربي، بَيْرُوت١٩٨٠م) ص ١٢٠.

(٢٦) د. إحْسَان عَبَّاس: **تاريخ الأدب، عصر الطَّوَائِف والْمُرَابِطِين** (دار الثقافة، بَيْرُوت، لبنان، ١٩٨١م) ص ٤٧.

(٢٧) **رِسَالَة في الْحِسْبَة**، ص ٢٨.

(٢٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٢٩) للمزيد انظر: د. عَبْد الـرَّحْمَن بشـير: **الفَقِيـه والسـلطان** (ط١، دار عـين للدراسات والبحوث الانسانية، ٢٠١٠م)، ص ٥٩.

(٣٠) ابن بَشْكُوَال: كتاب **الصِّلَة**، في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ج٢، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦. ص ٥٧٧.

(٣١) ابن عَبْدُ الْمَلِك الْمَرَّاكُشي: **الـذيل والتَّكملـة**، (تَحْقِيق د.إحْسَان عَبَّاس) السفر السَّادِس، ص ٣٠٨.

(٣٢) ابن الْخَطِيب: **الاحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ٢٠٠١. ص ١٠٢.

(٣٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ١٠٢.

(٣٤) ابن القطان: **نظم الْجُمَانْ في أخبار الزمان**، تحقيق: محمود علي مكي، كلية الآداب، الرباط، د.ت. ص ٧٤.

(٣٥) ابن بَشْكُوَال: **الصِّلَة**، ج٢، ص ٥٧٧.

(٣٦) د. مُحَمَّد فتحة: **النّوازل الفِقْهِيَّة والْمُجْتَمَع**، ص ١٢.

(٣٧) مقدمة فتاوى ابن رُشْد، ص ٧٣.

(٣٨) الاصـفهاني: **خريـدة القصـر وجريـدة العصـر**، (تَحْقِيـق: مُحَمَّـد الْمَرْزُوقي، ومَحْمُـود العروسـي المطوي، والجيلاني بـن الْحَـاج يحيى، الـدار التّونسِـيّة للنشر، تونس، ١٩٨٦م) ج٢، ص ٢١٥.

(٣٩) التادلي: **التَّشَوّف**، ص ٢٧٧.

(٤٠) ابـن عَبْـدُ الْمَلِـك الْمَرَّاكُشي: **الـذيل والتَّكملـة**، (تَحْقِيـق د.إحْسَـان عَبَّـاس) السفر السَّادِس، ص ٣٠٨.

(٤١) المصدر نفسه،ج١، ص ٩٨.

(٤٢) د. عمـر عبـد الكـريم الجيـدي: **الأَنْدَلُسـيون واسـتحداث مصـدر تشـريعي جديد**، ص ٩٠.

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(٤٣) الوَنْشَرِيسي: **المِعْيَارُ المُعْرِب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، حقيق: محمد حجي، ج١٠، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣. ص ١٤٩.

(٤٤) **نوازل ابن الْحَاج**، ص ٣١٦.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٣١٦.

(٤٦) ابن عَبْدون: **رِسَالَة فِي الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٣٦.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٦، ٤٤.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٣٦؛ المَقَّرِيّ: **نَفْح الطِّيب**، ج٣، ص ٢١٧؛ الوَنْشَرِيسي: **المِعْيَارُ المُعْرِب**، ج٢، ص ٤٨٩.

(٤٩) ابن عَبْدون: **رِسَالَة فِي الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٢٧.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٥١) ابن سَهْل: **وَثَائِق فِي شئون العِمْرَانَ فِي الأَنْدَلُس**، (تَحْقِيق: د.مُحَمَّد عبد الوهاب خلاف المركز الْعَرَبِيّ، الْقَاهِرَة ١٩٨٣ م) ص ٧٨، ٨٢، ٨٦، ٨٨، ٩١، ٩٤، ٩٨.

(٥٢) **رِسَالَة فِي الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ١٨

(٥٣) الكَاغَدُ هو: الوَرَقُ الصَّالِحُ لِلْكِتَابَةِ أَوِ اللَّفِّ. الزَّبِيْدِيُّ: **تاج العروس**، ج ٢، ص ٥٨٦:

(٥٤) نقلاً عن المَازُونِيّ: **الدُّرَر المكنونة**، (القسم الأول) ص ١٩٦.

(٥٥) ابن الْحَاج: **نوازل بن الْحَاج**، ص ٨٨.

(٥٦) **رِسَالَة فِي الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٢٧؛ الوَنْشَرِيسي: **المِعْيَارُ المُعْرِب**، ج٢، ص ٤٨٩.

(٥٧) الطُّرْطُوشِي: **الحوادث والبدع**، (تَحْقِيق: د.مُحَمَّد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٥٩م)، ص ١٤٢- الوَنْشَرِيسي: **المِعْيَارُ المُعْرِب**، ج٢، ص ٣٢؛ التادلي: **التَّشَوُّف**، ص ٢٣٤.

(٥٨) **الاشارة في تدبير الامارة**، ص ٦٨.

(٥٩) الدوامات مفردها دوامة والزرابط زربوط: اسمان لشئ واحد وهي لعبة خشبية مخروطة الشكل في اسفلها مسمار. يلف الصبي خيطاً على هذه اللعبة ثم يجذبه بسرعة فتدور على الأرض في بلاد الشَّام تسمى البلبل وفي مصر النحلة. د. إبْرَاهِيم الْقَادِري بوتشيش: **المَغْرِب والأَنْدَلُس في عَصْر المَرَابِطين**، ص ٣٥.

(٦٠) المرجع نفسه،ص ٣٥.

(٦١) البُرْزُلي: **نوازل البُرْزُلي**، ج ٢، ص ٤٣١.

(٦٢) المَقَّرِيّ: **نَفْح الطِّيب**، ج ٢، ص ٢٩. نقلاً عن ابن العربي.

(٦٣) المَقَّرِيّ: **نَفْح الطِّيب**، ج٣، ص ٢١٧.

(٦٤) ابن سَعِيد: **المُغْرِب في حلي المَغْرِب**، ج١، ص ١٧٢.

(٦٥) ابن الْخَطِيب: **أَعْمَالُ الأَعْلام**، ص ٢٦٠.

(٦٦) د. مُحَمَّد عبد الوهاب خلاف: **وَثَائِق ومخطوطات وتراجم أندلسية**، (الْقَاهِرَة، د ت) ص ٦٣.

(٦٧) ابن عِذَارِي: **البَيَان المُغْرِب**، ج٣، ص ٩٢، ٩٣، ١١٥.

(٦٨) **المُعْجِب**، ص٣٨.

(٦٩) **الاشارة في تدبير الإمارة**، ص ٦٨.

(٧٠) **سِرَاج المُرِيدِين**، ص ٧٥.

(٧١) ابن عَبْدون: **رِسَالَة فِي الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٥٥.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٧٤) **نوازل ابن رُشْد**، ص ٦٦.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٧٦) **نوازل ابن رُشْد**، ص ٥٦.

(٧٧) **سِرَاج المُرِيدِين** (مخطوط الْقَاهِرَة) ورقة، ٥٧.

(٧٨) **رِسَالَة فِي الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص٢٦، ٤٥-٤٧.

(٧٩) يصف ابنُ زُهْر حال السكارى قائلاً: وَمُوسِّدينَ عَلى الأَكُفِّ خُدودَهم .. قَد غالَهُم نَومُ الصَباحِ وَغالني .. ما زِلتُ أَسقيهِم وَأَشرَبُ فَضلَهم .. حَتّى سَكِرتُ وَنالَهُم ما نالَني .. وَالخَمرُ تَعلَمُ كَيفَ تَطلُبُ ثَأرَها .. إِنّي أَمَلتُ إِناءَها فَأَمالَني. ابن خَلِّكَان: **وَفَيَات الأَعْيَان**، ج٤، ص ٤٣٤.

(٨٠) ابن صاحِب الصَّلاة: **المَنّ بِالإِمَامَة**، ص ١٧١.

(٨١) د. حُسَين مؤنس: **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المُرَابِطين إلى المُوَحِّدِين**، ص ١١٣.

(٨٢) الوَنْشَرِيسي: **المعيار**، ج٦، ص ٥١.

(٨٣) ابن عِذَارِي: **البَيَان المُغْرِب**، ج ٤، ص ٩٤.

(٨٤) التادلي: **التَّشَوُّف إلى رجال التصوف**، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٨٤. ص ٢٤٣.

(٨٥) عيد فارسي الأصل، يرمز إلى يوم استهلال السنة الشمسية عند الفرس. وهو الذي يدعى عند المسيحيين في الأَنْدَلُس بعيد ينير. آدم متز : **الحَضَارَة الإِسْلامية في القر ن الرابع الهِجْرِي** (نقله إلى العَرَبِيَّة أبو ريدة مُحَمَّد عبد الهادي، الدار التونسية، للنشر، تونس، المؤسسة الطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م) ص ٧١٤.

(٨٦) الْبَاجِيّ: **وصية الشيخ أبي الوليد الْبَاجِيّ**، ص ٣٩.

(٨٧) **رِسَالَة فِي الْحِسْبَة**، ص ٥٣.

(٨٨) هو أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّد بن أبي مَرْوَان بن زهر الإشبيلي، من أهل بيت كلهم عُلَمَاء رؤساء حكماء وُزَرَاء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند المُلُوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب ابن دِحْيَة في كتابه المسمى المطرب من اشعار أهل المَغْرِب وكان شيخنا أَبُو بَكْرٍ يعني ابنُ زُهْر المذكور بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب الْمَغْرِب مع سمو النسب وكثرة الأَمْوَال. ابن خَلِّكَان: **وَفَيَات الأَعْيَان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: تحقيق: إحسان عباس، ج٤، دار صادر، بيروت ١٩٧٨. ص ٤٣٤

(٨٩) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٣٥

(٩٠) الطالبي: **آراء أبي بَكْر الْعَرَبِيّ الكلامية**، (الشركة الوطنية، الجزائر، ج١)، ص ٣٠.

(٩١) المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٩٢) للمزيد انظر: رُشْد: **فتاوى ابن رُشْد**، السفر الأوّل، ص ٢٠٧؛ ابن عَبْدون: **ثلاث رسائل في الْحِسْبَة**، ص٥٨؛ ابن الْحَاج: **نوازل ابن الْحَاج**، ص ١١٦.

(٩٣) ابن سَعِيد: **المُغْرِب في حلي المَغْرِب**، ج١، ص ٧٤.

(٩٤) د. عمر بنميرة: **الثقافة والفقه والمُجْتَمَع**، نماذج من المغرب الوسيط، ط١، جذور للنشر، الرباط ٢٠٠٦. ص ٣٢.

(٩٥) د. رضوان مبارك: **حول بعض القضايا الْمَذْهَبية والعقيدية في العَصْر المُرَابِطي من خلال فتاوى ابن رُشْد**، من كتاب التَّارِيخ وأدب النّوازل، (ط١، منشورات كلّيّة الآدَاب والعلوم الإنسانيّة، الرّبَاط، ١٩٩٥ م) ص ٧١.

(٩٦) الخراجيات: صنف من البغايا المذكورات في حِسْبة ابن عَبْدون الإشبيلي، وكذلك صنف آخر من البغايا وسماهن بالطرازات حيث قال:"لا يخالط النِّسَاء في الْبَيْع والشِّرَاء إلا ثقة خيّر، قد عرف النَّاس خيره وأمانته قطع الطرازات عن السوق واجب، فإنما هن قُحاب" ؟ انظر: ابن عَبْدون: **رِسَالَة فِي الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص٤٧.

(٩٧) المصدر نفسه والصفحة.

(٩٨) المصدر نفسه، ص٤٦.

(٩٩) المصدر نفسه، ص٤٧ - **الحوادث والبدع**، ص ١٤١.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(١٠٠) المصدر نفسه، ص٤٦.

(١٠١) **المقدّمات الممهّدات لبيان ما اقتضته رسوم المُدَوَّنَة من الأَحْكَام الشّرعيّات والتّحصيلات المحكمات لأمّهات مسائلها المشكلات**، (تَحْقِيق: مُحَمَّد حجّي، بَيْرُوت: دار الغرب الإسْلامي، ١٩٨٨م) ج ٣، ص ٤٢٦.

(١٠٢) ابن خاقان: **مَطْمَحُ الأَنفُس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣. ص ٣٤٦.

(١٠٣) عاش في الْقَرْن الخَامِس الهِجْرِي في أسرة كان لها حضور ثقافي وأدبي وسياسي في البيئة الأَنْدَلُسيّة. وكان مبدعا، عاش حياته في اللذة والمتعة واقتناص لذات الْحَيَاة حتى في شهر رمضان المبارك. وهو يشبه أبا نواس في وصف الخمرة وذكر اللذات والشهوات الدنيوية. ويعد ابن قُزمانَ زعيم الزَّجَّالِين خاصة في ديوانه المَشْهُور" إصابة الأغراض في ذكر الأعراض" الذي وثقه الكثير من المستشرقين والدارسين الْمُسْلِمِين. وقد أشاد بشاعرية ابن قُزمانَ الزجلية الدارسون القدماء أمثال: ابن خَلْدُون والمَقَّرِيّ وابن سَعِيد وابن الأَبّار وصفي الدين الحلبي. والدارسون الْمُسْلِمِين المحدثون مثل: د. عبد الْعَزِيز الأهواني ود. إحْسَان عَبَّاس ود. مصطفى الشكعة. والمستشرقون والْمُسْتَعْرِبُون مثل: جنزبرج، والمستشرق التشيكي نيكل.، وكولان، والإسباني إيميليو جارسيا جوميث، وكوربينتي. انظر: عطاطة التكريتي: **ابن قُزمانَ مغني قُرْطُبَة الضائع**، (مجلة الجامعة العراقية،، بغداد ١٩٨١م) العدد ٥ ص ٩٤.

(١٠٤) ابن قُزمانَ: **ديوان ابن قُزمانَ**، (تَحْقِيق: كورينطي، مدريد ١٩٨٠م)، ص ٩٠.

(١٠٥) ابن خاقان: **مَطْمَحُ الأَنفُس**، ص ٣٤٦.

(١٠٦) للمزيد انظر: د. إبْرَاهِيم الْقَادِري بوتشيش: **أثر الأزمة الأخلاقية في سقوط دولة الإسْلام بالأَنْدَلُس**، (ندوة الأَنْدَلُس: الدرس والتّاريخ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م) ص ٣٤.

(١٠٧) ابن الْحَاج: **نوازل بن الْحَاج**، ص ٨٧.

(١٠٨) الوَنْشَرِيسي: **المعيار** : ج٢، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

(١٠٩) التادلي: **التَّشوّف**، ص ٢٤٣.

(١١٠) **سِرَاج المُرِيدِين في سبيل الدين لاستشارة الأَسْمَاء والصفات في المقامات**، (المكتبة الوطنية بباريس (رقم:٧٢٣٣، ضمن مجموع مخطوطات التصوّف العَرَبِيَّة) ورقة ٤؛ د. عمار طالبي: **آراء أبي بَكْر بْنِ الْعَرَبِيّ الكلامية**، ج١، ص٦٣.

(١١١) **فتاوى ابن رُشْد**، ص ٣٠٦.

(١١٢) **رِسَالَة في الْحِسْبَة**، ص ٢٧.

(١١٣) الزياني: **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء الْمَغْرِب** (ط١، تَحْقِيق: رشيد الزاوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسْلامية الْمَغْرِبية،٢٠٠٨م، الْمَغْرِب) ص ١٧.

(١١٤) ابن الْحَاج: **نوازل بن الْحَاج**، ص ٨٦؛ الوَنْشَرِيسي: **المعيار**، ج٢، ص ٤٩٠.

(١١٥) **رِسَالَة في الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٤٦.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(١١٨) **تنبيه الْحُكَّام على مآخذ الأَحْكَام**، (تَحْقِيق عبد الحفيظ منصور، مكتبة الصحابة، الكويت ١٩٨٥م)، ص ١٤.

(١١٩) **كتاب الحوادث والبدع**، ص ١٥٨.

(١٢٠) د. إبْرَاهِيم الْقَادِري بوتشيش: **الْمَغْرِب والأَنْدَلُس في عَصْر الْمَرَابِطين**، ص٤٧.

(١٢١) انظر نص الوثيقة الواردة بالملحق رقم (١٢) و"ثيقة عن حق المَرْأَة في امتلاك الأرض وحقها في التصرف فيها بالبيع والشراء".

(١٢٢) **نوازل ابن الْحَاج**، ص ١٠٤.

(١٢٣) **كتاب الأَحْكَام** (تَحْقِيق: د. الصادق الحلوي، صدر دار الغرب الإسْلامي، بَيْرُوت، ١٩٩٢م) ص ٢٠.

(١٢٤) **فتاوى ابن رُشْد**، السفر الأول، ص ٢٢٤.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٦٠٨.

(126) Decadencia Y Desaparicion de los Almoravides en Espana , Zaragoza , 1899, p. 192,193,209.

(127)Simonet, hist, de Los Mozarabes de Espana, Madrid1897-1903, Tomo II, p.745.

(128) La Espana del Cid,Madrid , 1947, p16.

(129) Scott, s: History of the Moorish Empire,.London ,1904, p32.

(١٣٠) **الْمُسْلِمون في الأَنْدَلُس**، ج٣، ص ١٦٢.

(١٣١) الوَنْشَرِيسي: **المعيار**، ج٢، ص ٢٤٠، ج٧، ص ٧٤.

(١٣٢) حيث عبر ابن رُشْد إلى الْمَغْرِب وقصد عَلِي بْن يُوسُف بمرَّاكُش وشرح له أحوال الأَنْدَلُس وما منيت به على يد الْمُعَاهِدِين وما جنوه عليها من استدعاء النَّصَارَى وما يترتب على ذلك من "نقد العهود والْخُرُوج على الذِّمَّة" تمهيدا لاصدار فتواه بتغريبهم ووجوب إجلائهم عن الأَنْدَلُس فأخذ عَلِي بْن يُوسُف بهذه الفتوى وأصدر عَهْده إلى جميع بلاد الأَنْدَلُس بتغريب الْمُعَاهِدِين إلى العُدْوَة، وسيق الكثير منهم إلى مِكْنَاسَة وسلا وغيرهما من بلاد العُدْوَة وهلك منهم خلال العبور والسّفر عدد جم وضم علي منهم عددا إلى حرسه الخاص وامتازوا فيما بعد في الاخلاص والبراعة على أن هذا التغريب لم يكن شاملاً فقد بقيت في غَرْناطة وفي قُرْطُبَة وغيرها من القواعد جماعات من النَّصَارَى الْمُعَاهِدِين في شهر رَمَضَان سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م وكانت نكبة بالغة لم يصب الْمُعَاهِدِين مثلها منذ زمن بعيد. ابن عِذَارِي: **البَيَان الْمُغْرِب**، ج٤، ص ٧٣؛ ابن الْخَطِيب: **الإحاطة**، ج١، ص ١١٩.

(١٣٣) د. خليل إبْرَاهِيم السامرائي: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأَنْدَلُس** (دار المدار الإسْلامي، بَيْرُوت، ٢٠٠٤م) ص ٤٣٤؛ د. حسن يوسف: **الْمُسْلِمون المدجنون في الأَنْدَلُس**، (مطبعة الْحُسَين الإسْلامية، ١٩٩٣م)، ص ١٧.

(١٣٤) **نوازل ابن الْحَاج**، ص ١١٩.

(١٣٥) المصدر نفسه: ص ٢٥٢.

(١٣٦) د. إبْرَاهِيم الْقَادِري بوتشيش: **مباحث في التَّاريخ الاجْتِمَاعِي**، ص ٧٤.

(١٣٧) د. إبْرَاهِيم الْقَادِري بوتشيش: **الْمَرَابِطون وسياسة التسامح مع نَّصَارَى الأَنْدَلُس**، ص ٢٣٧.

(١٣٨) مجهول: **كتاب في الفقه المالكي** (مخطوط خ.ع.و.م.ر - رقم ٢١٩٨)، ص ٢٨. وقد نقل عن ابن رُشْد.

(١٣٩) المصدر نفسه: ص ٣٠٨.

(١٤٠) د. إبْرَاهِيم الْقَادِري بوتشيش: **محطات في تاريخ التسامح بين الأديان والشعوب**، ص ٧٥.

(١٤١) الوَنْشَرِيسي: **المعيار**، ج٧، ص ٤٣٩.

(١٤٢) **ثلاث رسائل في الْحِسْبَة**، ص ٩٥.

(١٤٣) **الوَنْشَرِيسي: المعيار**، ج ٥، ص ٢٤٥ وج٨، ص٥٦-٥٨.

(١٤٤) المصدر نفسه: ج٢، ص١٧٩.

(١٤٥) مجهول: **كتاب في الفقه المالكي**، ص ٢٨. وقد نقل عن ابن رُشْد.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(١٤٦) لورقه، وهي مدينة الأَنْدَلُس من اعمال تدمير وبها حصن ومعتقل محكم وارضها جزر لايرويها الّ ماركد علها من ماء كأرض مصر فيها فواكه كثيرة. ياقوت: **مُعْجَم الْبُلْدان**، ج٥، ص ص ٢٥-٢٦.

(١٤٧) إبْـرَاهِيم الْقَـادِري بوتشـيش: **المُرَابِطـون وسياسـة التسـامح مـع نصـارى الأَنْدَلُس**، ص ٢٣٦.

(١٤٨) مجهول: **كتاب طَبَقات المالِكيَّة**، ص ٣٠٨.

(١٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٩٣. وقد نقل الفتوى عن ابن رُشْد.

(١٥٠) الطُّرْطُوشِي: **كتاب الحَـوَادِث والبدع**، (تَحْقِيق: د.مُحَمَّد الطالبي، تُونُس ١٩٥٩) ص ١٤١.

(١٥١) انظر عنه ابن قُزمانَ، **ديوان ابن قُزمانَ**، زجل رقم ٧٢ ؛ ابن سَعِيد، **المُغْرِب في حلي المَغْرِب**، ج١، ص ٢٩٤.

(١٥٢) انظر التفاصيل: إبْـرَاهِيم الْقَـادِري بوتشيش: **المَغْـرِب والأَنْـدَلُس في عَصْـر المُرَابِطين**، (دار الطليعة، بَيْرُوت ١٩٩٣م) ص ٩٣.

(١٥٣) ابن عَبْدون: **رِسَالَة في الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٤٨.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(١٥٥) المقصود بالعنصرة: نسبة إلى شعلة النار التي كانوا يعملونها في تلك الليلة ويقفزون فوقها، ولذلك عرف من أمثال أهل الأَنْدَلُس "الكبش المصوف ما يكفز العنصرة. أي: أن الكبش الذي عليه صوف لا يقفز فوق شعلة العنصرة لأنه إذا قفز فوقها احترق. الزَّجَّالِي: **أمثال العوام في الأَنْدَلُس** (تَحْقِيق: د.مُحَمَّد بنشريفة، منشورات وزارة الدَّوْلَة المكلفة بالشؤون الثَّقَافِيَّة والتَّعْلِيم الأصلي، مطبعة مُحَمَّد الخامس الثَّقَافِيَّة الجامعية، فاس، د.ط، ١٩٧١م)، ص٨٥؛ ابن عِذَارِي :**البَيَان المُغْرِب**، ج ٣، ص ٨٤.

(١٥٦) الزَّجَّالِي : **أمثال العوام**، ص ٢٤٠.

(١٥٧) حلوى أندلسية مَشْهُورة. ابن زرين التِّجِيبي: **فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان** (تَحْقِيق: د.مُحَمَّد بن شقرون، دار الغرب الإسْلامي، بَيْرُوت، ١٩٨٤م) ص ٨٣.

(١٥٨) الإسفنج: عجين من السميد يقلى بالزيت. المصدر السابق، ص٨٠ – ٨٢.

(١٥٩) ابن سَعِيد: **اخْتِصَار القِدْح المُعَلَّى** ، (اختصره: أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن عَبْد الله خليل؛ تَحْقِيق: إبْـرَاهِيم الإبيـارى، دار الكتـاب المصـري، الْقَـاهِرَة، ١٩٨٠م) ص ١٥٦.

(١٦٠) المِعْيَارُ المُعْرِب، ج١١، ص ٩٢.

(١٦١) المصدر نفسه، ج١١، ص ١٥١.

(١٦٢) **الحوادث والبدع**: ص ١٤٠، ١٤١. والْمُئْزَر أو الإزار: وهو ما يغطي الجزء الأعلى من الجسم وكان إزار النَصْرَانِية أزرق والْيَهُودية أصفر وذلك تميزاً لهن عن نساء الْمُسْلِمِين. ابن مَنْظُور: **لِسَان العَرَب**، ج ٤، ص ١٦.

(١٦٣) هو أَحْمَدُ بن يحي بن عَبْدِ الوَاحِد بن علي الوَنْشَرِيسي، أخذ عن شُيُوْخ بلده ــ تلمسان ــ كالإمام أبي الفَضْل قاسم العقباني، وولده الْقَاضِي العـالم أبي سـالم العقبـاني،، وأكـب على تـدريس "الْمُدَوَّنَة" وفرعي ابن الْحَاجب " وكان مشاركا في فنون العلم إلا أنه لما لازم تدريس الفقه يقول من لا يعرفه إنه لا يعرف غيره وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضره يقول:" لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه، وتخرج به جماعة من الفُقَهَاء، كالفَقِيه أبي عباد ابن المِلْح اللمطي، قرأ عليه ابن الْحَاجب والشيخ المتقن الأستاذ أبي زَكَرِيَّاء السوسي، والفَقِيه المحدث مُحَمَّد بن عبد الجبار الورترغيري، والفَقِيه السميح المَصْمودي، والفَقِيه العلامة الْقَاضِي مُحَمَّد بن الغرديس التغلبي، وبخزانة هذا الرجل انتفع لاحتوائها على تصانيف الفنون، وبها استعان في تصنيف كتابه " المعيار لا سيما فتاوى فاس والأَنْدَلُس، فإنما تيسرت له من هذه الخزانة، وأخذ عنه ولده عَبْدِ الوَاحِد أيضاً،

السّلاوي : **الاسْتِقْصَا**، ج ٤، ص١٦٥، الزركلي: **الأعلام**، ج١، ص٢٦٩.

(١٦٤) الوَنْشَرِيسي: المعيار،ج ١١، ص ١٥١؛ ابن عَبْدون: **رِسَالَة في الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٩٩.

(١٦٥) الوَنْشَرِيسي: المعيار،ج ١١، ص ١٥٢.

(١٦٦) المصدر نفسه، ج ١١، ص ١١١.

(١٦٧) بل إنه دعا كذلك لهذا السبب إلى منع النِّسَاء الْمَسِيحيات من دخولها إلا في يوم فضل أو عيد. ابن عَبْدون: **رِسَالَة في الْقَضَاء والْحِسْبَة**، ص ٩٩.

(١٦٨) الوَنْشَرِيسي: المعيار،ج ١١، ص ١٥٢.

(169)David J. Wasserstein, "Samuel ibn Naghrila ha-Nagid and Islamic historiography in Al-Andalus", dans Al-Qantara, XIV-1, (1993), p.109-125.

(١٧٠) د. مَسْعُود كواتي: **الْيَهُود في الْمَغْرِب الإسْلامي من الْفَتْح إلى سقوط دولة المُوَحِّـدِين** (دار هومـة للطباعـة والنشـر والتوزيـع، الجزائـر ٢٠٠٠م) ص:٣٠٧؛ د. إبْرَاهِيم الْقَادِري بوتشيش: مباحث في التَّارِيخ الاجْتِمَاعِي، ص ١٠٨.

(١٧١) د. الحبيب الجنحاني: **الْحَيَاة الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة في سِجِلْمَاسَة عاصمة بني مدرار**، (مجلة المؤرخ الْعَرَبِيّ، ١٩٧٨م) العدد ٥، ص ١٥٣.

(١٧٢) انظر:

Dubnov S, History of the Jewes From the Roman Empire to the Early Medieval Period, (New York,), Vol.2, P.756; YITZHAK BEAR, A History Of The Jews In Christian Spain, (PHILADELPHIA), VOL.1, P.32.

(١٧٣) الموسوعة العبرية، مج ٢٥، ص ٤٨٧.

(١٧٤) د. مُحَمَّد الفاسي: **دراسات مغربية من وحي البيِّنة** (سلسلة عيون، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٩٠م) ص ١٤٢.

(175) David G M, Los Arabes Maestros de los Judios en la espana medieval (Ensayos sobre la filosofia en al-Andalus Una Aproximacion Ensayos Sobre la Filosofia en Al-Andalus, Autores Textos Y Temas Filosofia,Coleccion Dirigida Por Jaume Mascaro n° 29, Anthropos Edotoral del hombre , Printed in Spain 1990.) p:166-177

(١٧٦) د. خَالِـد يُـونُس الخَالِـدي: **الْيَهُـود تحـت حكـم الأَنْـدَلُس** (دائـرة الثقافـة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٢م) ص ٢٨٣.

(١٧٧) ابن عِذَارِي: **البَيَان المُغْرِب**، ج٤، ص ٧٧.

(١٧٨) ابن عَبْدون: **رِسَالَة في الْحِسْبَة**، ص ٥١

(١٧٩) أوردها الوَنْشَرِيسي: **المِعْيَارُ المُعْرِب**، ج ٢، ص ٢٥٤

(١٨٠) الطُّرْطُوشِي: رِسَالَة في تحريم الغِنَاء والسَّمَاع (تَحْقِيق: د. مُحَمَّد حسن إسْمَاعِيل، دار الكتب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ط ١، ٢٠٠٣م) ص ١٤٤.

(١٨١) ابن الْحَاج : **المدخل**، ج١، ص ١١٤.

(١٨٢) ابن المناصف: **تنبيه الْحُكَّام على مآخذ الْأَحْكَام**، (تَحْقِيق عبد الحفيظ منصور، مكتبة الصحابة، الكويت ١٩٨٥م)، ص ٣١

(١٨٣) تَحْقِيق: د.مُحَمَّد حسن إسْمَاعِيل، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت،٢٠٠٣م)

(١٨٤) **رِسَالَة في الْحِسْبَة**، ص ٧٧

(١٨٥) **أحكام السوق**، (تَحْقِيق: د. مَحْمُود عَلِيّ مَكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسْلامية، مدريد، ١٩٥٦م) العد ١-٢، ص١١٩.

(١٨٦) د. إحْسَان عَبَّاس: **تاريخ الأدب الأَنْدَلُسي** (عصر الطَّوَائِف والمُرَابِطين) ص ٥١.

(١٨٧) برع في العصر المرابطي الفيلسوف ابن باجة (ت ٥٢٢هـ / ١١٢٨ م) في فن المُوسيقَى واعتبره البعض منظم الألحان بالأَنْدَلُس ووصفه ابن خَلْدُونبأنه: "صاحب التلاحين المعروفة" كما برع في الغِنَاء والمُوسيقَى كذلك في تلك الفترة أمية عبد العزيز بن أبي الصلت الأَنْدَلُسي (ت ٥٢٨ هـ

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

/ ١١٣٤م) الذي أسس مدرسة للموسيقى في مدينة بجاية، وأَسْلَم بن عبد العزيز، وأبو عامر بن الحَمَّارة الغرناطي، وابن جودي (ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٦م)، الذي كان ينظم الشعر إلى جانب احترافه المُوسيقَى.

ابن سَعِيد: **المُغْرِب في حلي المَغْرِب**، ج٢، ص ١١٩؛ ابن خَلْدُون: **المقدمة**، ص ٥٨٤؛ ليفي بروفنسال: **أدب الأَنْدَلُس وتاريخها** (ترجمة عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، الْقَاهِرَة، ١٩٥١م،) ص ٢٤؛ د. عبد العزيز عبد الجليل: **مدخل إلى تاريخ الموسيقا المَغْرِبية**، (سلسة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م) ص ٣٠.

(١٨٨) ابن سَعِيد: **المُغْرِب في حلي المَغْرِب**، ج٢، ص ١١٩.

(١٨٩) ومن نماذج تلك القصائد:

سَلامٌ وَإِلْمَامٌ وَرُوحٌ وَرَحْمَةٌ... عَلَى الجَسَدِ النَّائِي الذي لا أَزُورُهُ
أَحَقّاً أَبَا بَكْر تَقَضَّى فَمَا يُرَى... تَرُدُّ جَمَاهِيرَ الوُفُودِ سُتُورُهُ
لَئِنْ أَنِسَتْ تِلْكَ القُبُورُ بِقَبْرِهِ... لَقَدْ أَوْحَشَتْ أَمْصَارُهُ وَقُصُورُهُ

وقوله:

يَا صَدَىً بِالثَّغْرِ جَاوَرَهُ... رِمَمٌ بُورِكْنَ مِنْ رِمَمِ
صَبَّحَتْكَ الخَيْلُ غَادِيَةً... وَأَثَارَتْكَ فَلَمْ تَرِمِ
قَدْ طَوَى ذَا الدَّهْرُ بِزَّتَهُ... عَنْكَ فَالْبِسْ بِزَّةَ الكَرَمِ

ابن سَعِيد: **المُغْرِب في حلي المَغْرِب**، ج٢، ص ١١٩.

(١٩٠) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٢٠.

(١٩١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٧.

(١٩٢) د. مَحْمُود إِسْمَاعِيل: **سوسيولوجيا الفكر الإِسْلامي**، الجزء الثَّالث (طور الانهيار) القسم الأول (الخلفية السوسيو-تاريخية) ص١٦٩.

(١٩٣) د. إِحْسَان عَبَّاس: **تاريخ الأدب الأَنْدَلُسي** عصر الطَّوَائِف والمُرَابِطِين، ص ٣١.

(١٩٤) ابن الزُّبَيْر: **صلة الصِّلَة**، (تَحْقِيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقْتِصَادِيَّة، الرِّبَاط ١٩٣٨م)، ص ٨٢.

(١٩٥) د. إِبْرَاهِيم بوتشيش: **الْحَيَاة الاجْتِمَاعِيَّة في المَغْرِب والأَنْدَلُس خلال عصر المُرَابِطين**، ص ١٧.

(١٩٦) الْحِمْيَرِي، **الرَّوْضُ المِعْطَار**، ص١٩٧ – التنبكتي: **نَيْلُ الابْتِهَاج بِتَطْرِيزِ الدِّيبَاج**، (مطبعة عبّاس بن عبد السلام، الْقَاهِرَة، ١٩٣٢م) ص١٦٢.

(١٩٧) مُحَمَّد عَبْد الله عنان: **دولة الإِسْلام في الأَنْدَلُس**، ج٢ ص ٤١٢.

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449